وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة زيان عاشور بالجـــــــــــــــــــلفة
كلية العلوم الإنســـــــانية و الاجتماعية
قسم : العلوم الإنســـــانية
تخصص : تاريخ حديث و معاصر

مذكرة نهاية التخرج تحت عنوان :

أحداث ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958
" الحدث و الدلالات "

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالبين :
* علي زقايق
* عيسى بليحة

إشراف الأستاذ :
د . أحمد ثليجي

الموسم الجامعي :
2015 / 2016 م
1436 / 1437 هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا البحث كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور أحمد ثليجي الذي ساعدنا و شجعنا و لم يبخل علينا بالنصائح كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا لإنجاز هذا البحث من المشرفين على مراجعته وتصحيحه و طبعه ، و خاصة الزملاء : عبو محمد الطالب " الحناوي " ، نواوي مولود ، طيبي ثامر ، معمري محمد ، بن الأحرش رامي ... ، الذين ساعدونا و مدوا لنا يد العون .

الإهداء

الحمد لله الذي نفتح بحمده الكلام والحمد لله الذي حمده أفضل ما جرت به الأقلام ، سبحانه لا نحصي له ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ومولى كل إنعام .

أما بعد أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

التي لو يستطع القلم أن ينصفها حقها مهما كتب و قيل ، إلى التي غمرتني بحنانها و عطائها ، و أعطتني زهرة شبابها ... إلى التي سهرت الليالي لأجلي ، إلى التي كانت لي الدعم و السند في دراستي ، في دعائها ، و كانت المصباح الذي ينير لي دربي : أمي حفظها الله .

إلى الذي علمني أن العلم فلاح و الحياة كفاح إلى الذي يحب أن يرى أبنائه في المراتب العلى و الذي أفنى حياته في العمل لأجل سعادتي : أبي طيب الله ثراه و جعل الجنة مثواه إن شاء الله .

إلى كل أفراد عائلتي .

إلى كل أساتذتي في جميع المراحل ، إلى كل من يحمله قلبي و لم تحمله ورقتي ، كل من نسيت ذكره ، و كل من فتح الرسالة و تفحص أوراقها بعدي .

علي .

الإهداء

الى كل شهداء الوطن

الى الوالدين الكريمين

الى اساتذتي الكرام خاصة الاستاذ احمد ثليجي والاستاذة نبيلة كوداش ،والاستاذ حسان مغدوري

الى كل الاصدقاء وكل ساعدنا في عملنا هذا خاصة محمد معمري ، وبليحة محمد ،وسعاد بليحة ،لمين مويعدي ،

آدم معمري ، ثار بن مناد والخنير بن بلحنة

عيسى

قال سبحانه وتعالى :

﴿ وفضل المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾

الآية 95 من " سورة النساء "

قال سبحانه و تعالى :

﴿ و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾

الآية 169 من " سورة آل عمران "

الاختصارات:

ج : جزء .

ج ت و : جبهة التحرير الوطني .

ح إ ح د : حركة انتصار الحريات الديمقراطية .

و م أ : الولايات المتحدة الأمريكية .

تر : ترجمة .

تد : تدقيق .

تح : تحقيق .

ط : طبعة .

ص : صفحة .

مقدمـــــــة

مقدمـــة :

– لقد عرفت الثورة التحريرية منذ انطلاقها في 01 نوفمبر 1954 إلى غاية تحقيق الاستقلال سنة 1962 العديد من التحديات ، و من أبرزها نذكر مشكل التسليح و مشكل المؤونة لاستمرارية الثورة خاصة في بدايتها ، و قد تم معالجة مشكل السلاح و المؤونة من خلال مؤتمر الصومام الذي عالج من خلال قراراته هذا المشكل بتشكيل القاعدة الشرقية التي تضم منطقة سوق أهراس التي تقع في أقصى الشمال الشرقي في الحدود التونسية الجزائرية التي كان لها دور كبير في تموين الثورة .

– إن تونس و بحكم حدودها مع الجزائر و بحكم الروابط بين الشعبين فقد ألزمت نفسها سلطة و شعبا على مد الدعم المعنوي و المادي للثورة الجزائرية خاصة بعد استقلالها سنة 1956 و هذا رغم الضغوط الفرنسية التي اشتدت إلى قيام هذه الأخيرة بأحداث ساقية سيدي يوسف في 08 فيفري 1958 بعد عدة تحرشات . و قد أدت هذه الحوادث إلى تداعيات كبرى على المستوى الخارجي .

✓ أسباب اختيار الموضوع :

– تكمن أهمية دراسة أحداث ساقية سيدي يوسف في كونها كانت تحمل العديد من الدلالات و يكمن إبرازها في عدة نقاط :

– ذات بعد إنساني تضامني و هذا من خلال كونها أظهرت التضامن بين الشعبين الجزائري و التونسي حيث امتزجت الدماء في كل مكان و زمان واحد .

– أظهرت خوف فرنسا و فشلها أمام الثورة الجزائرية كما سجلت هذه الحوادث نقطة سوداء في تاريخ فرنسا أمام العالم .

– كانت بداية لمرحة جديدة في التاريخ الدبلوماسي للثورة الجزائرية في المحافل الدولية .

– يرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب ذاتية و موضوعية :

فالذاتية نلخصها في كون أحداث ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958 قضية بين شعبين أكثر منها قضية بين سلطتين لأن شهدائها كانوا من عامة الناس (نساء ، أطفال ، شيوخ) و لأنها تعكس النضال المغاربي كنظرة عامة ضد الاستعمار الفرنسي و يظهر هذا من خلال التضامن المغاربي الشعبي التونسي و الجزائري على إثر حادث الساقية .

أما عن الأسباب الموضوعية لاختيارنا لهذا الموضوع فنلخصها في :

* أحداث ساقية سيدي يوسف ورغم صداها في المغرب العربي خاصة وعلى مستوى العالم عامة فإن المؤلفات التاريخية قليلة وأغلب المصادر عنها تكمن في المجلات والجرائد والملتقيات ، هذا ما جعلنا نختار هذا الموضوع .

* جل الكتب التي تناولت موضوع أحداث ساقية سيدي يوسف كانت دراسة هذا الموضوع على أساس أنها وصلة لتغيرات سياسية حدثت على مستوى تونس والجزائر وعلاقاتهما بفرنسا الاستعمارية .

* ومن هنا نطرح التساؤلات التالية :

- ماهو دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية ؟
- كيف وفقت تونس في دعم الثورة الجزائرية في ظل الأزمات السياسية ؟
- ماهي مظاهر الدعم التونسي للثورة التحريرية الجزائرية ؟ وكيف الوقف الفرنسي من هذا الدعم ؟
- ماهي الأسباب المباشرة والغير مباشرة لأحداث ساقية سيدي يوسف ؟
- ماهي تفاصيل ونتائج هذه الأحداث ؟ وكيف كانت المواقف منها ؟

✓ المنهج المتبع :

لقد اعتمدنا في موضوعنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي لدراسة دلالات أحداث ساقية سيدي يوسف ووصف تفاصيل الحدث من وجهات نظر مختلفة لمصادر عايشت الحدث .

✓ خطة البحث :

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول ، فالفصل الأول تحدثنا فيه عن القاعدة الشرقية ودورها في الثورة التحريرية خاصة فيما يخص الدعم اللوجستيكي وتنظيم حركة نقل الأسلحة عن طريق الحدود التونسية الجزائرية إلى باقي المناطق الثورية ، كما تطرقنا إلى أهم المعارك و الهجومات التي قامت بها القاعدة الشرقية وأهمها معركة جبل واسطة التي كانت السبب المباشر لأحداث ساقية سيدي يوسف .

أما الفصل الثاني فقد تطرقنا في مبحثه الأول إلى الأوضاع الداخلية و الخارجية لتونس و اصطدامها بالضغوطات الفرنسية ، أما المبحث الثاني فخصصناه إلى مظاهر الدعم التونسي للثورة الجزائرية سواء كان الدعم ماديًا أو معنويًا ، فدورها المادي شمل العديد من المجالات : مثل إيواء اللاجئين الجزائريين وتنظيم إقامتهم في تونس وتسهيل عمليات مرور الأسلحة إلى جانب العديد من

الاتفاقيات التي تعكس دور السلطة التونسية في مساندة الثورة الجزائرية ، أما الدعم المعنوي فقد تمثل الدور الذي لعبه المفكرون ، النوادي والجمعيات و كذلك الصحافة في متابعة القضية الجزائرية ومحاولة التعريف و الإشادة بها أمام الرأي العام الدولي .

– وقد تناولنا في الفصل الثالث أحداث ساقية سيدي يوسف ، حيث تناول المبحث الأول في هذا الأخير الأسباب غير المباشرة لهذه الأحداث ومنها الأوضاع السياسية لفرنسا وتأثرها بالدعم الذي قدمته تونس للثوار الجزائريين خاصة في سنة 1957 ، حيث أعلنت فرنسا الاستعمارية حقها في تتبع الثوار الجزائريين الفارين إلى التراب التونسي ، كما وصفنا معركة جبل واسطة التي كانت السبب المباشر لأحداث ساقية سيدي يوسف .

وخصصنا المبحث الثاني لتفاصيل الحدث ونتائجه والمواقف المغاربية منه خاصة الجزائر ، و كذلك ردود الفعل عن الحادثة والتبريرات الخاصة بالسلطة الفرنسية . وما جاء على إثرها من الأزمة التي جعلت الولايات المتحدة وبريطانيا تتدخل للتوسط في حل هذا المشكل .

✓ لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع و أهمها :

1 / مذكرات الطاهر سعيداني : " القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض " و يعتبر مصدر قيم في تاريخ الثورة الجزائرية لأن كاتبه عايش كل الأحداث التي مرت بها الثورة التحريرية عامة ، و القاعدة الشرقية خاصة ، هذا إلى جانب كونه مسؤول عن التنظيم في منطقة سوق أهراس ، و قد أثرى كتابه هذا بالعديد من الملاحق و الشهادات التي تبرز الدور الحقيقي للثورة من خلال العديد من المعارك نذكر منها معركة جبل واسطة التي كانت من الأسباب المباشرة لأحداث ساقية سيدي يوسف .

2 / واعتمدنا أيضا على مذكرات ووثائق الرائد عمار ملاح : " وقائع و حقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس " حيث يعتبر مصدر أساسي لنشاط الثوار بمنطقة الأوراس و علاقة هذه الأخيرة بالمناطق الأخرى من ناحية التنظيم .

3 / مؤلفات الدكتور : يحي بوعزيز منها : " موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب " (الجزء الثاني) و كتاب : " ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين " (الجزء الثاني) حيث خصص الكاتب في مؤلفيه جانبا لدراسة أحداث ساقية سيدي يوسف و بعض المواقف منها .

4 / و من المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر كتاب سعيدي وهيبة : " الثورة الجزائرية و مشكلة السلاح " ، و كتاب الدكتورة مريم صغير : " سياسة و مواقف الدول العربية من الثورة الجزائرية " ، كما اعتمدنا على كتاب : " مؤتمر طنجة المغاربي " للأستاذ معمر العايب .

5 / المجلات و الجرائد : من أهم ما اعتمدنا عليها نذكر جريدة الشعب و جريدة لوموند ... و مجلة الدراسات التاريخية .

✓ لقد واجهنا في بحثنا هذا العديد من الصعوبات ، يمكن حصرها في النقاط التالية :

* عدم تحصلنا على مصادر و مراجع متخصصة في موضوع أحداث ساقية سيدي يوسف.

* اغلب الكتب التي تطرقت إلى هذا الموضوع لم تفصل فيه ، حيث ذكرت نظرة عامة فقط عن الأحداث .

* تباين في الإحصائيات فمثلا كتاب : الدكتور يحي بوعزيز " موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب " يذكر بأن عدد ضحايا القصف بلغ 1500 ضحية في حين تذكر كتب أخرى عدد الضحايا يبلغ حوالي 100 ضحية ، في حين يذكر الطاهر زبيري في مذكراته بأنهم حوالي 75 شهيد .

* اختلاف وجهات النظر في المؤلفات حول الموقف الحقيقي لبورقيبة فهناك كتب ذكرت بأنه كان داعما للثورة الجزائرية في حين وجود مؤلفات أخرى تنقده ، وترى بأنه عميل لفرنسا .

الفصل الأول :

دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية 1958/1954

الفصل الأول : دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية 1954 / 1958

المبحث الأول : ملامح عامة عن ثورة نوفمبر الجزائرية :

1 / إندلاع الثورة التحريرية 01 نوفمبر 1954 .

2 / مشكلة السلاح .

المبحث الثاني : دور القاعدة الشرقية :

1 / تعريف القاعدة الشرقية .

2 / دورها في الثورة التحريرية .

الفصل الأول : دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية 1954/1958:

المبحث الأول : ملامح عامة عن ثورة نوفمبر الجزائرية :

1/ إندلاع الثورة التحريرية 01 نوفمبر 1954 :

في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة أول نوفمبر 1954 الموافق ل 6 ربيع أول 1374 هـ ، حدث الانفجار العظيم الذي قاد البلاد إلى الاستقلال ، وتلا ذلك صدور بيان عن قيادة الثورة عرف : " ببيان أول نوفمبر 1954 " الذي جاء واضحا في معانيه ، مبينا أن مرحلة النضال السياسي التي تتبناها الأحزاب الوطنية قد تجاوزتها الأحداث ، كما أنه يجب الخروج من دائرة الصراع الشخصي ، إلى المعركة الحقيقية ضد المستعمر لأنه هو العدو الحقيقي ، ووضح البيان أن جبهة التحرير الوطني [*] هي اسم الحركة و دعى الشعب الجزائري بمختلف إنتماءاته إلى الإنضمام إليها ، وإن الهدف من الكفاح المسلح هو الاستقلال التام ، و تدويل القضية الجزائرية ووحدة الشمال الإفريقي ، في إطارها العربي الإسلامي ، ولتحقيق ذلك يجب مواصلة الكفاح بجميع الوسائل .[21]

لقد كانت الثورة الجزائرية المسلحة تتويجا لمراحل بطولية في تاريخ الحركة الوطنية ولكل أنواع المقاومات التي كانت رد فعل قوي وعنيف ضد التواجد الاستعماري الفرنسي.[2]

- الثورة التحريرية وموقف الاستعمار الفرنسي منها 1954-1958 :

تعتبر ثورة أول نوفمبر 1954 الجزائرية من الأحداث العالمية الكبرى في التاريخ الحديث و المعاصر ، وذلك لأن تأثيراتها تجاوزت الجزائر إلى معظم أصقاع القارة الإفريقية ، والى آسيا الجنوبية والغربية وأمريكا اللاتينية ، فأيقظت الكثير من الشعوب النائمة والمغلوبة على أمرها ، وحفزتها على التحرر والإنعتاق من السيطرة الاستعمارية [3] ، ويظهر ذلك من خلال نظرة الكثير من السياسيين والمفكرين سواء كانوا في القطر التونسي أو المراكشي الذين يرون أن استقلال أي قطر من القطرين دون استقلال الجزائر استقلال منقوص مهدد من كل جوانبه .[4]

---

[*] جبهة التحرير الوطني : في معناه حسب المعاجم الفرنسية ، اتحاد تام يقع بين أطراف أو أفراد متفقين على انجاز برنامج مشترك ، انظر المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية ، مرتاض عبد الملك ص 51 .

[1]- محمد لحسن زغيدي : مؤتمر الصومام وتطور الثورة الوطنية الجزائرية 1956-1962 ، دار هومه ، الجزائر،2009 ، ص 70 .

[2]- " لمحات تاريخية عن مقدمات ثورة نوفمبر 1954 " بوعزة بوضرياسة ، نشر في مجلة الدراسات التاريخية ، العدد السادس ، يصدرها معهد التاريخ الجزائر ، 1992 ، ص 173 .

[3]- الدكتور يحي بوعزيز : " موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب "، الجزء الثاني ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 ، ص 433 .

[4]- فضيل الورتلاني : " الجزائر الثائرة " ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 ، ص 292 .

و عندما اندلعت هذه الثورة ، زعمت السلطات الفرنسية في بلاغاتها الرسمية أن متزعميها هم جماعة من " المُقلين للأمن " و " فلاقه " [*] و " قطاع الطرق " و " اللصوص " خارجين عن القانون " ، دُفعوا من جهات أجنبية ، وبذل الفرنسيون كل ما في وسعهم و إمكانياتهم أن يقضوا عليها ويضعوا حداً لنشاطهم.

و لكنهم فوجئوا بأحداث يوم 20 أوت 1955 في كل مدن الشرق الجزائري التي سفهت أحلامهم وكذبت إدعاءاتهم وأكدت لهم أن ما يجري ليس حوادث عابرة من طرف " فلاقه ، مقلين للأمن ، خارجين عن القانون " ، وإنما هي ثورة حقيقية ذات قيادة واعية وأهداف وطنية سامية.

و لذلك أخذوا يكثفون من قواتهم العسكرية ، ويوسعون من عمليات التعذيب الإجرامية للمواطنين الجزائريين ، التي كشفتها الصحافة الفرنسية نفسها ومنها جريدة لوموند [**] le monde وبعض مراسيلها : مثل كلود بوردي Claude Bordie في كتابه المسالة la Question ، وتم عزل " روجي ليونار " من الولاية العامة ، وعوض بالسياسي " جاك سوستيل[°] " ، الذي بادر إلى التصريح بأن فرنسا لن تغادر الجزائر ، وأعلنت حالة الطوارئ بصفة جزئية في الأوراس والقبائل وشرق مقاطعة قسنطينة ، ثم مُدت إلى معظم أنحاء البلاد ، وكان الغرض من إعلان حالة الطوارئ هذه هو ممارسة حرية التعذيب بصورة بشعة وواسعة .

و لذلك مكنت حكومة مولي [°°] الاشتراكية الوزير المقيم بالجزائر من سلطات واسعة ، لحل كل الهيئات والجمعيات ، وتعطيل الصحف ، ومصادرة الأملاك ، وتم التوسع في تطبيق هذا القانون ليشمل حتى الجزائريين المقيمين بفرنسا ، ابتداء من "عهد بورجيس مونوري " .

و إلى جانب تطبيق حالة الطوارئ ، أنشأت السلطات الاستعمارية فرق المليشيا من المستوطنين الأوربيين المتعصبين ، لمساعدة الجيش الفرنسي على تطبيق عمليات الإيقاف والحجز والتعذيب ، [1]

---

[*] الفلاقة : مصطلح من الفلق وهو الشطر ، أي أنهم يفلقون الرؤوس ، وهو من المصطلحات التي كان يراد بها ذم ج .ت.و وإظهاره للرأي العام الفرنسي والعالمي بمظهر كاريكاتوري متهجم . د مرتاض عبد الملك ، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة .

[°] جاك سوستيل : من أصول يهودية ، عين أثناء الثورة واليا عاما على الجزائر سنة 1955 ، وهو صاحب المشروع الإغرائي ، دافع عن الجزائر الفرنسية وسياسة الادماج .

[**] جريدة لوموند : أسسها هيربرت بيوف ميري بناء على طلب من شارل ديغول ، أول تحرير لها في 19 ديسمبر 1944.

[°°] غي مولي : (1905 – 1975) : رئيس حكومة فرنسا 30 جانفي 1956 إلى 21 ماي 1957.

[1] – د . يحي بوعزيز : مصدر سابق ، ص 433 ص 434 .

رغم أن قوات الجيش الفرنسي ارتفعت إلى أكثر من مائة ألف جندي (100000) مدعمين بسلاح الطيران والبحرية إلى جانب أجهزة أخرى .[1]

و قد توقع العالم عند تولي الحزب الاشتراكي للحكم والسلطة في فرنسا بمطلع عام 1956 ، أن يحقق حلاً مشرفاً للقضية الجزائرية ، كنتيجة لتصريحات " مولي " زعيم الحزب وأمينه العام خلال المعركة الانتخابية ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، لأنه تراجع بسرعة عن أفكاره بعد أن تعرض إلى "ضربات الطماطم " في شوارع مدينة الجزائر صباح يوم 06 فيفري 1956 ، من طرف المستوطنين الأوربيين المتعصبين ، وعين السفاح " روبير لاكوست " [*] وزيراً مقيما بالجزائر بدل من " سوستيل " ، وصمم على استعمال القوة والقضاء على الثورة باسم " التهدئة " ، وحشد ما يقارب من 400 ألف جندي لذلك ، ومئات من الدبابات وقاذفات القنابل و كل وسائل الفتك والتدمير الجهنمية .

ولم يكن الرجال من المناضلين وجنود التحرير هم وحدهم من الضحايا لجرائم الجيش الفرنسي في الجزائر خلال ثورة نوفمبر 1954 بل شمل كافة أفراد المجتمع الجزائري من الرجال والنساء والأطفال .[2]

و ابتكر الجلادون الفرنسيون أسلوب إقامة مراكز التجميع المتقاربة من بعضها البعض في مناطق مختلفة ، لكن النتيجة كانت بالعكس ، لأن الجيش الفرنسي جمد في هذه المراكز ، بينما وجد جيش التحرير الحرية لممارسة نشاطه بكتائب صغيرة وخفيفة ، واضطرت القوات الفرنسية أن تشن عمليات عسكرية ضخمة دعيت بعمليات " فور" نسبة إلى الجنرال " فور " ، على منطقة القبائل الصغرى التي كانت محررة ومستقلة آنذاك ، وذلك في إطار التهدئة ، ومارست عمليات التعذيب بشكل قاسي وواسع في المدن الكبرى : مثل وهران والجزائر لوقف نشاط جبهة التحرير الوطني .

وفي مطلع عام 1957 ، استغل الجيش الفرنسي فرصة الإضراب الأسبوعي الذي دعت إليه جبهة التحرير الوطني ، فارتكب مجازر ضخمة في المدن الكبرى وخرب الدكاكين وحطمها ونهب ما بها من سلع وبضائع وقتل الناس بالجملة وشاعت في العالم عمليات التعذيب الجهنمية التي يمارسها الضباط الفرنسيون ضد الجزائريين[3] ، وكان من ضمن ضحاياها القائد " العربي بن مهيدي "

---

[1] – د . يحي بوعزيز : مصدر سابق ، ص 434 . .

[*] روبير لاكوست : (1898 – 1989) مناضل اشتراكي في الحركة النقابية الفرنسية ، عينه "غي مولي " وزيراً مقيماً عاماً بالجزائر الى غاية 15 افريل 1958 ، وهو صاحب مقولة : "الربع ساعة الأخير للقضاء على الثورة الجزائرية ".

[2] – سعدي بزيان : جرائم فرنسا في الجزائر ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 ، ص 71 .

[**] الإضراب الأسبوعي : انظر كتب عباس محمد : " ثوار عظماء " ، ص 385 .

[3] – سعدي بزيان : مصدر سابق ، ص 72 .

و المحامي علي بومنجل ، و مدت السلطات الفرنسية حالة الطوارئ إلى فرنسا ، وطبقتها على الجزائريين المقيمين هناك على أمل وضع حد لنشاط جبهة التحرير الوطني .[1]

و نظراً لأهمية كل من تونس والمغرب الأقصى ، كقاعدتين خلفيتين للثورة الجزائرية ، تصلها عن طريقهما الإمدادات اللازمة ، فقد شرع الجيش الفرنسي في إنشاء الحواجز وموانع متنوعة على حدودهما المتصلة بالجزائر شرقا وغربا ، تتمثل في مد خطوط الأسلاك الشائكة المكهربة " خط موريس وخط شال " [*] ، بعد أن فشل في سياسة " حق التتبع [**] للثوار " داخل هذين البلدين الشقيقين ، ويتراوح عرض هذه الخطوط للأسلاك حوالي 1296 متر تتخللها الألغام والأضواء الكاشفة و أجراس الإنذار ، وتولى حراستها مراكز عسكرية مكثفة ومزودة بوسائل النقل السريعة والقذف البعيدة المدى .

وامتدت في الناحية الشرقية من عنابة على البحر شمالا إلى مدينة تبسه جنوبا على أبواب الصحراء ، وفي الناحية الغربية مد خط رئيسي قرب الحدود بين " فقيق " و " وجدة " ، وأحيطت المدن القريبة من الحدود بهذه الأسلاك ، وفرضت عليها حالة منع التجول ليلا بصفة دائمة وحولت إلى محتشدات.

و لكي يكون لهذه الأسلاك الشائكة مفعولا كبيرا في تحطيم الثورة ، صادق البرلمان الفرنسي على قوانين الإطار° les lois Cadres ، ورفضت حكومة فليكس غايار [***] ، وساطة تونس والمغرب ، وبرزت مشكلة الحدود على أشدها ، وصممت السلطات الفرنسية على استغلالها إلى ابعد حد وبالغت في تحرشها ضد تونس والمغرب الأقصى في إطار ما زعمته لنفسها من " حق التتبع " للثوار إلى داخل البلدين ، وارتكب لا كوست حماقته الكبرى بتدميره قرية ساقية سيدي يوسف التونسية بطائرات أمريكية ، مما دفع بكل من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة البريطانية إلى التدخل . [2]

---

[1] – سعدي بزيان : مصدر سابق ، ص 73 .

[*] أنظر الملحق رقم : 01 ص 92 .

[**] حق التتبع : سياسة فرنسية تقضي بحق ملاحقة الثوار الفارين إلى التراب التونسي ، بدأت فرنسا هذه السياسة بداية 1957

° قوانين الإطار : فكرة فرنسية خبيثة دعا إليها قاستون ديفير في 05 فيفري 1958 ، ينص على تقسيم الجزائر إلى خمس أقاليم : وهران ، مستغانم ، الجزائر ، القبائل ، قسنطينة . انظر كتاب : محمد الهادي حسني : "من وحي البصائر " دار الأمة ، الجزائر ، 2010 ، ص 403 .

[***] حكومة فليكس غايار : نالت هذه الحكومة ثقة النواب الفرنسيين ب:337 صوت مقابل 173 صوت في 29 نوفمبر 1957 ، عمار بوحوش ، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص 427 .

[2] – د. يحي بوعزيز : مصدر سابق ، ص 435 – 436 .

2/ مشكلة السلاح :

إن أزمة السلاح والذخيرة لدى المجاهدين وخاصة بعد تفجير الثورة التي تطلبت منهم الاستمرار في مواجهة العدو كانت خانقة ، لكن قادة الثورة عرفوا كيف يضعون منهجا مناسبا للخروج من تلك الأزمة .

فمن الخطوط العريضة للبرنامج السياسي لجبهة التحرير الوطني ، هو أن وسائل الكفاح عنصر هام من ذلك البرنامج ، وفيها ورد ما يلي :

- العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل العسكري .
- العمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين ، إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء ، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية ، وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ، لكن النصر محقق .[1]

..ليس من المبالغة لو قلنا ان الشيء الذي يميز ثورتنا هو أنها تسلحت ذاتيا في بداية طريقها ، وفقا لشهادات مجاهدين [*] كانوا من بين أكبر المسؤولين في قيادة الثورة حيث الانطلاقة كانت ببنادق صيد ، مسدسات ، وبعض الأسلحة الأخرى مثل ستاتي وهي بنادق التي كانت موجودة في الصحراء الجزائرية بالإضافة إلى القنابل اليدوية التي سُرقت من المخازن الفرنسية و أُشتريت ، أي في البداية ، المصدر كان داخليا ، و كان البارود يصنع محليا بالنسبة لبنادق الصيد ، وكذلك الرصاص ، وبعض قنابل المولوتوف .

و كان المجاهدون يفرقون القنابل والقذائف التي تلقيها الطائرات والمدفعية الثقيلة من البارود عندما لا تتفجر ليضعوا ذلك البارود في عبوات أخرى تستعمل لنسف الجسور والأعمدة والسكك الحديدية .[2]

---

[1] – وهيبة سعيدي : " الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح 1954 – 1962 " ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 ، ص 30 .

[*] بعض المجاهدين كانوا يجمعون الجرائد والمجلات التي تتحدث عن كيفية صنع القنابل اليدوية والمتفجرات عن طريق العمال الجزائريين في فرنسا . انظر كتاب : خليفة الجنيدي : " حوار حول الثورة " المجلد الأول ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1986 ، ص 433 .

[2] – محمد زروال : " اللمامشة في الثورة " ، ج 1 ، دار هومه ، الجزائر ، 2003 ، ص 75 .

بعد الثورة بحوالي ثلاثة أشهر في مناطق في ستة أشهر في مناطق أخرى ، وعام في مناطق أخرى ، قامت الجبهة بجمع الأسلحة الموجودة عند المواطنين ، بنادق الصيد كما كانت هناك أسلحة مخفية منذ الحرب العالمية الثانية ، وبعض المغاربة قبل خروجهم ساهموا في تسليح الثورة عن طريق البيع والإهداء .

- إمدادات السلاح إلى الولايات الشرقية :

إن الإمدادات إلى الحدود الشرقية لم تتعد ولايات الأوراس وشمال قسنطينة وأحيانا بلاد القبائل بينما اعتمدت الولايات الأخرى على الإمدادات المتسربة إليها عبر الحدود المغربية كذلك عبر اسبانيا وفرنسا .

و جدير بالذكر أن السلاح القادم إلى الشرق الجزائري كان يمر من خلال ثلاثة مسارب هي :

1 - مسرب جزيرة جربة بالسواحل التونسية وكانت تستعمل في هذا المسرب زوارق صغيرة .

2 - مسرب زوارة في ليبيا ومن هناك ينقل السلاح بواسطة بن قردان ثم يمر عبر الأراضي التونسية في اتجاهين :

ا - بوسائل مختلفة إلى بلدة سوق أهراس " ولاية شمال قسنطينة " .

ب - بواسطة الجمال عبر ممر الجرف في أقصى الجنوب باتجاه ولاية الأوراس .

3 - بواسطة الشاحنات الضخمة مباشرة من مصر عبر ليبيا وتونس " بعد الاستقلال ومن هناك يُهرب بواسطة الجمال عبر الصحراء بعد أن أغلق ممر سوق أهراس [*] .

و جدير بالذكر انه كانت قد حصلت معركة في الممر الجنوبي عُرفت بمعركة الجرف [**] بين مهربي السلاح والقوات الفرنسية التي اعترضت سبيلهم ، وقد ألقي القبض على " مصطفى بن بولعيد " قائد ولاية الأوراس و حُكم عليه بالإعدام و لكنه تمكن من الفرار من سجنه قُبيل تنفيذ الحُكم عليه وكان برفقته أثناء فراره " الطاهر زبيري " [°] .

كان المجاهد احمد محساس مكلفا من قبل قيادة الثورة بتنسيق عملية التهريب من ليبيا إلى الجزائر عبر تونس وكان ينسق في نفس الوقت مع مندوب الثوار التونسيين المدعو "عبد العزيز شوشان" .[1]

---

[*] انظر مذكرات الطاهر سعيداني : " القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض "، ص 98 ص 99 .

[**] معركة الجرف : سبتمبر 1955 خاض جيش التحرير الوطني معركة جبال الجرف بالأوراس قتل خلالها 400 جندي استعماري و أسقط 8 طائرات وحطم عدد من الدبابات المصفحة و غنم أسلحة و ذخائر كثيرة ، و لقن جيش الاحتلال مرارة الهزائم التي أعتاد عليها قبل ذلك في الحرب العالمية الثانية و في الهند الصينية . أنظر كتاب د يحي بوعزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ص 397 .

[°] انظر الملحق رقم : 11 ص 102 .

[1] - النقيب مراد صديقي : " الثورة التحريرية - عمليات التسلح السرية "، تر د . أحمد الخطيب ، دار الرائد، الجزائر ،ص49ص50.

كانت الأسلحة والذخائر تصل ليبيا بواسطة المراكب و كانت تفرغ حمولتها بصورة سرية في خليج بالقرب من بلدة زوارة ، ومن ثمة تنقل الحمولة بالشاحنات إلى مخبأ سري هو عبارة عن مزرعة مستأجرة في ضواحي زوارة .[1]

كان هناك شخص واحد في الإدارة الليبية مُطلع على الأمر وهو الأمير " عبد الحميد درنة [°] " وكان يبذل قصارى جهده للمساعدة وكانت تدخلاته تبعث الطمأنينة أحيانا في نفوس المهربين الليبيين من أبناء الصحراء .

- صعاب في الطريق :

كانت تعترض عمليات التهريب من حين إلى أخر بعض الصعاب من ذلك مثلا محاولات الضابط البريطاني " جايلز " الذي كان يسعى إلى تتبع عمليات التهريب ولكن مندوبي الثورة كانوا يتفادون ملاحقاته بوسائل شتى .

بالإضافة إلى الإنجليز كانت هناك الدوريات الفرنسية التي تزايد نشاطها على الحدود الليبية – التونسية ، كذلك فقد أرتفع ثمن الجمال المستخدمة في التهريب وهناك أيضا محاولات بعض السياسيين التونسيين لشراء بعض العناصر التونسية المتعاونة في عملية التهريب .

- تذليل الصعاب :

كان شيخ قبيلة " مليتا " في الجنوب هو الذي يشرف على عمليات التهريب [*] بعناصر موثوق بها من أفراد قبيلته وكان أبناء القبيلة مطلعين تماما على تحركات الدوريات الفرنسية ، وكانوا يعرفون كيف يتفادونها بانتقالهم عبر المسالك السرية و كان شيخ القبيلة يستغل الوضع ويرفع أسعار خدماته وقد اضطر مندوبو الثورة بالاشتراك مع " فتحي الديب " [**] الذي كان يتولى بنفسه عملية تسهيل تهريب السلاح إلى الجزائر ، اضطر هؤلاء إلى شراء ثلاثين جملا وتوزيعهم إلى مجموعات ثلاثية ليتم تحميل كل ثلاثة جمال يوميا لتعبر الحدود مجموعة كل يوم ليلاً و لتصل منطقة الاختفاء نهاراً بعيداً عن أعين الدوريات الفرنسية .

وتم الاتفاق مع شيخ القبيلة أن تبدأ الأولى بالعبور محملة بالسلاح والذخيرة اعتباراً من ليل 20 أكتوبر 1955 وقد نجحت هذه الطريقة .[2]

---

[1] – النقيب مراد صديقي : مصدر سابق ص 49 ص 50 .

[°] عبد الحميد درنة : مدير عام الشرطة في طرابلس ، ساهم في تنشيط عملية نقل الأسلحة إلى الجزائر .

[*] أنظر الملحق رقم : 10 ص 101 .

[**] فتحي الديب : 1923–2003 بمصر ، من أبرز رجال الرئيس جمال عبد الناصر ، سانده في قضايا الشؤون العربية ، وهو من أحد مؤسسي جهاز المخابرات المصرية العامة عام 1954 .

[2] –محمد زروال ، مصدر سابق ، ص 50 ص 51 .

تنشيط عملية التهريب :

شهد النصف الثاني من شهر مارس 1956 نشاطاً متزايداً في تهريب السلاح عبر الحدود الليبية التونسية وذلك من أجل تزويد ولايتي الأوراس وشمال قسنطينة بالإضافة إلى تزويد جيش التحرير التونسي الذي كان معارضا للمفاوضات الفرنسية – التونسية التي كانت تهدف فرنسا من وراءها إلى منح تونس استقلالا صورياً تتفرغ بعده للقضاء على الثورة الجزائرية .

ورغم اشتداد الرقابة الفرنسية بمعاونة بعض أنصار الحزب الدستوري الذي كان يتولى المفاوضات مع فرنسا إلا أن عملية التهريب كانت تنشط باستمرار وقد نُقلت كميات كبيرة من السلاح والذخيرة بعد تعديل في الأسلوب المستخدم و مناطق التهريب وتوزيع المسؤولية على عناصر جديدة قادرة وقد تلقت منطقة سوق أهراس و منطقة الأوراس الكميات التالية على دفعتين ما بين 22 مارس و 27 مارس 1956 :[1]

نوع السلاح:	الكمية:	الذخيرة :	الكمية:
بندقية 303	65	طلقة 9 ملم	6000
رشاش فيكرز متوسط	10	خزنة للفيكرز	20
رشاش لانكستر	30	خزنة لانكستر	60
قنبلة يدوية	216		

وقد تمت عمليتا التهريب [*] بحرص كبير ، خاصة وان " جايلز " البريطاني شعر بالعملية فأرسل مجموعة من الشرطة بقيادة ضابط بريطاني إلى منطقة " غريان " للتصدي لعمليات التهريب [**]، و موه تحركه بحجة القيام بمناورات في المنطقة ، و لما لم تنجح محاولته بدأت قواته في تفتيش المنطقة التي توجد فيها المخازن السرية لتجميع السلاح ، ولكن " عبد الحميد درنه " أوقف عملية التفتيش بعدما كاد ينفضح أمر السلاح .[2]

---

[1] – النقيب مراد صديقي : مصدر سابق ، ص 51 .

[*] يعود تاريخ صنع تلك الأسلحة المهربة إلى بداية العشرينات ، بعضها فقدت خصائصها بسبب كثرة استعمالها في ح ع 2 ، يعود مصدرها إلى إيطالي ، ألماني ، فرنسي وإنجليزي .

[**] أنظر الملحق رقم : 02 ص 93 .

[2] – محمد زروال : مصدر سابق ، ص 73 .

و استمرت عملية التهريب بشكل منتظم من السلاح الذي كان يصل إلى ليبيا بالبحر كما بينا سابقا.

و لكن في بداية العام 1958 حدث تطور في نقل السلاح من مصر إلى ليبيا ، إذ جرى التفاهم مع بعض التجار الليبيين للاستفادة من شاحناتهم التي تنتقل بانتظام بين مصر وليبيا لنقل البضائع ، و أصبحت بعض هذه الشاحنات تُحمل بالأسلحة و الذخائر في طريقها إلى الحدود التونسية .[1]

وفي شهر فيفري 1958 جرى تسليم احمد محساس دفعة من الأسلحة والذخيرة ليتم تأمينها إلى الولايات الشرقية وتضمنت الكميات التالية :[2]

نوع السلاح :	الكمية:	الذخيرة:	الكمية:
هاون 2	25	قنبلة هاون 2	2724
هاون 3	12	قنبلة هاون 3	531
رشاش هوتشكيس مع قاعدة	20	طلقة 303	187.000
رشاش 9 ملم ايطالي	204	طلقة 7.92	100.000
بندقية 7.5 فرنسية	496	طلقة 45 للرشاش تومي	63.000
مدفع A.T.F ضد الدروع	460	طلقة 9 ملم للبراتا	125.000
قنبلة يدوية	1392	طلقة 7.5	72.000
		طلقة 8 ملم	145.000

[1] – محمد زروال : مصدر سابق ، ص 75 .

[2] – النقيب مراد صديقي : مصدر سابق ، ص 53 .

المبحث الثاني : دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية :

1/ تعريف القاعدة الشرقية [*] :

بما أن أحداث هذه الحلقة تدور في ناحية سوق أهراس ، لذا كان لزاماً علينا أن نتعرض إلى المراحل التي مرت بها تلك الناحية ، والأسماء التي أطلقت عليها في كل مرحلة بشيء من الاختصار .

إن ناحية سوق أهراس تعتبر من النواحي ذات المكانة الكبرى في الثورة الجزائرية ، بل وفي تاريخ مقاومة الاستعمار بصفة عامة ، فكانت الحركة الوطنية – في كافة مراحلها – تعتمد عليها اعتمادا كبيرا ، وذلك لما لها من مميزات خاصة ، فزيادة على وجود عدد كبير من المناضلين الأشداء الذين جبلوا على مقاومة العدو المحتل ، فهي لم تكن أقل أهمية من الأوراس او جرجرة او غيرها من المناطق التي تكسوها الغابات فغاباتها تصلها بالقطر التونسي وتسهل عليها الاتصال بالمناطق التي كانت منتشرة فيها تجارة الأسلحة من بقايا الحرب العالمية الثانية ، كما أنه ليست بها طرق معبدة تسمح للعدو الدخول إليها .[1]

و كان سكانها مكتفين في معيشتهم بما تجود عليهم قطع الأرض الصغيرة المتناثرة هنا وهناك بما تنتجه من فلاحة ، والثروة الحيوانية المزدهرة في المنطقة ، وكان اختلاطهم بالمدن المجاورة محدود جداً .

فمنذ نوفمبر 1954 عُينت سوق أهراس كناحية أساسية في منطقة شمال قسنطينة و كان يمثلها في قيادة الناحية " باجي مختار " [**] و هو الذي قام بتحضيرها و تنظيمها لاستقبال الثورة حيث كان عضوا فعالا في المنظمة السرية ، و قاد و خطط عمليات أول نوفمبر .

لكن شاءت الأقدار أن يختفي في بداية الثورة ويسقط شهيدا في ميدان الشرف .[2]

---

[*] أنظر الملحق رقم : 03 ص 94 .

[1] – مصطفى هشماوي : جذور نوفمبر 1954 في الجزائر ، دار هومه ، الجزائر ، ، 2010 ص 118 .

[**] باجي مختار : ولد سنة 1919 بعنابة شارك في تكوين خلايا المنظمة الخاصة ، واصل نضاله بتنظيم صفوف المناضلين تحضيرا للثورة بمنطقة سوق اهراس ، استشهد في 20 نوفمبر 1954 .

[2] – صدام رزقي : " دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية 1956 – 1958 " ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر ، شعبة التاريخ ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2014/2013 ، ص 18 .

و كان غيابه المفاجئ ترك فراغا مهولا في الناحية ، و أثر ذلك بدوره على نشاط المقاومة هناك ، و أصبحت فصائل المقاومة في الناحية مفككة ، و معزولة عن بعضها البعض ، و مع الأسف إن قيادة المنطقة لم تقم بشيء ذا أهمية يحافظ على مسيرة الناحية .[1]

كما انعكس ذلك الوضع على معنويات الشعب ، و بقيت فصائل المقاومة منعزلة عن بعضها . ففي أقصى الشمال كانت فصائل تحت قيادة : " عمر بن زودة " و "عمارة العسكري " بوقلاز " [*] و في الجنوب كان المدعو : " الحاج عبد الله " و " الحاج الأخضر " .[2]

و في الوسط كان " جبار عمر " و في الغرب كان " عبد الله نواورية " و " النبيلي " و كان كل واحد من هؤلاء يرى نفسه أحق بخلافة "باجي مختار " و الذي كان أقربهم إليه هو عبد الله نواورية.

و كان لذلك الوضع أثر على سير العمليات و تم الاتصال بالمنطقة الأولى " الأوراس " و بعثت أحد القادة و هو الشهيد " احمد الأوراسي " و كان رجلا مقاوما و شجاعا فاستطاع أن يعيد النشاط إلى الناحية ، لكن عدم انسجامه مع رفقاء " باجي مختار " جعل منطقة الأوراس تستدعيه من جديد ، و بعثت مكانه مفرزة متكاملة لتنشيط العمل ، و يقال أنها كلفت بالتحضير لمؤتمر عام للثورة الذي تم فيما بعد في الصومام ، و وُفقت تلك المفرزة في البداية ، و استطاعت ضرب الحامية العسكرية الفرنسية المعسكرة في " البطيحة " ، و كانت حديثة العهد بالرجوع من الهند الصينية ، [3] حيث دمر المركز و التحقق كل الجنود بأسلحتهم و معداتهم و كانت العملية لها تأثير كبير في مسيرة الثورة ، و وزعت الشك في صفوف الجيش الفرنسي و نزعت الثقة عند الفرنسيين من الجزائريين العاملين فيه ، لكن ذلك سريعا ما غطاه النسيان ولم يغطى على بعض الأخطاء السيئة التي ارتكبها بعض أفراد المفرزة ، مما دفع بقيادة الأوراس إلى استدعائهم على عجل بعد أن أعطوا للمقاومة نفسا قويا في الناحية .[4]

---

[1] – صدام رزقي : مرجع سابق ، ص 22 .

[*] عمارة بوقلاز : من أهم قادة القاعدة الشرقية ، كان له دور في عمليات تنظيم ونقل الأسلحة إلى الولايات الأخرى . أنظر الملحق رقم : 05 ص 96 .

[2] – مصطفي هشماوي : مصدر سابق ، ص 119 .

[3] – محمد زروال : مصدر سابق ، ص 63 .

[4] – عمار ملاح : " وقائع وحقائق عن ثورة الأوراس " ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 ، ص 86 .

و بعد المعركة قامت مجموعة الشمال بقيادة " اعمارة العسكري " بالاستيلاء على الناحية كلها و فرض نظام عليها ، لقي التأييد من البعض و النفور من البعض الأخر ، و حدثت في بعض الأحيان اصطدامات خفيفة أدت مع الأسف إلى سقوط بعض الضحايا في ظروف غامضة يقع على رأسهم المرحوم المجاهد " جبار اعمر " .[1]

2/ دورها في الثورة التحريرية :

أ/ القاعدة الشرقية وقوافل تموين الولايات بالأسلحة :

ألقيت على عاتق القاعدة الشرقية مهمة إيصال الأسلحة [*] إلى الولاية الثانية ، و من هذه الأخيرة إلى الولاية الرابعة و الخامسة ، و بعد إجتماع بين مسؤولي الولاية الثانية و القاعدة الشرقية ، رفض قادة الولاية الثانية هذه الفكرة ، فأخذت القاعدة الشرقية على عاتقها مهمة تموين الولايات داخل الوطن ، و بالأخص الولايتين الثالثة و الرابعة .

إن عملية تسليح الولايات الواقعة في عمق التراب الوطني كانت من أعقد المهام التي ألقيت على عاتق القاعدة الشرقية ، ويعود ذلك إلى طبيعة العمليات و المخاطر والصعوبات التي كانت تحيط بها ، إذ أن هذه الولايات تقع في عمق التراب الوطني ، حيث كانت توجد حراسة مشددة إلى أقصى درجة ، بالإضافة إلى بعد المسافات ، فكيف يمكن تصور قافلة كاملة تنقل مئات القطع الحربية بذخائرها على أكتاف جنودها ، وسط الكمائن المنصبة في كل مكان تعبره ؟ حيث أن نجاح الثورة كان مرهوناً بنجاح هذه المهمة النبيلة .

و انطلاقا من هذه الحقيقة ، و عملاً بمبدأ ضرورة مد الولايات الثالثة والرابعة والخامسة بالأسلحة والذخيرة لتمكينها من الصمود في وجه الاستعمار ، أُنجزت هذه المهمة بنجاح ، و قد تحدى ثوار و رجال القاعدة الشرقية كل الأخطار المحدقة بهم ، وداسوا على الموت والخوف بأقدامهم ، فسقط المئات في ميدان الشرف ، وهم يعبرون مئات الكيلومترات لإيصال الأسلحة الأوتوماتيكية إلى اخوانهم المجاهدين المتواجدين في الولايات الداخلية ، غير مبالين بالموت ، وبأجهزة المراقبة التي أقامها المستعمر الفرنسي لقهر إرادة هؤلاء ، غير أن الإرادة و التصميم اللذان أضحى يتمتع بهما الثائر الجزائري سليل أبطال أوليين من " الأمير عبد القادر " إلى " الشيخ بوعمامة " ، أفشلت كل محاولات الاستعمار للحيلولة دون نقل الأسلحة و الذخيرة .[2]

---

[1]– مصطفى هشماوي ، مصدر سابق ، ص 120 .

[*] أنظر الملحق رقم : 09 ص 100 .

[2] – هشماوي : مصدر سابق ، ص 121 .

و مما صعب المهمة و زاد الطين بلة ، إقدام السلطات الفرنسية على مد خطي شال وموريس المكهربين ، و تزويدهما بآلات إلكترونية منبهة ، و إشارات ضوئية ، و ألغام فتاكة لا ترحم من يدوس عليها زُرعت بكل مكان .[1]

و رغم ذلك استطاع أبطال القاعدة الشرقية تأدية مهامهم بكل شجاعة ، فاخترقوا هذه الحواجز الجهنمية ، بقطع الأسلاك الشائكة المكهربة ، مستعملين المقص العازل للكهرباء ، كما قاموا بنزع الألغام وفي بعض المرات استعملوا أنابيب البنكلور لنسف خط موريس ، ثم خط شال الذي مد في أواخر سنة 1956 [2] ، وقد ساهم في بناء هذه الخطوط كل من " الحركة " و الخونة و المساجين و أسرى الحرب ، و إذا كان الصنفان الأولان يعملان طواعية في إقامة هذه الخطوط فإن الصنفين الآخرين كانا مكرهين على ذلك نتيجة لهذه الأسلاك المكهربة [3] أصبح يرافق الكتيبة المكلفة بنقل الأسلحة كتيبة هجومية مهمتها قطع الأسلاك الشائكة المكهربة ونزع الألغام ، والقيام باشتباكات مع العدو الفرنسي لمساعدة الكتيبة المحملة بالسلاح على العبور بسلام .

و جدير بالذكر أن القافلة المحملة بالسلاح تعود بعد أن تقوم بتسليم هذه الأسلحة إلى الولاية المعنية بالأمر بدون سلاح ، وهذا يعتبر انتحاراً بحد ذاته لذلك تحاول بقدر الإمكان تجنب الطرق و المسالك التي قد يعترضها العدو الفرنسي وفي اغلب الأحيان تقع في كمائن العدو فيستشهد من جنودها الكثيرون ليعود منها القليلون سالمين ، كما تحاول قدر الإمكان تجنب الإشتباك مع العدو ، عندما يداهمها وهي محملة بالاسلحة حفاظا على الذخيرة .

لقد انطلقت قوافل العبور مخترقة جبال بني صالح ، حمام النبائل ، الدباغ ، القل ، جبل البابور ، تكسانة ، اكفادو ثم الولاية الرابعة حيث تقوم بتسليم العتاد و الأسلحة لقائدها .

و استعملت هذه القوافل في بادئ الأمر البغال والخيول لحمل الأسلحة و الذخائر ، إلا أن التجربة أثبتت عدم نجاعتها لسهولة اكتشاف أمرها من طرف العدو الفرنسي ، فحل محلها المجاهد الذي وجد نفسه يحمل حمولة ثقيلة للغاية ، قد تصل إلى ثلاثة أسلحة بذخائرها المختلفة بالإضافة إلى أمتعة أخرى ، ويكون المجاهد قد زود بإرشادات صارمة لتجنب مواجهة العدو .[4]

---

[1] – الرائد الطاهر سعيداني : " القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض " ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 ، ص 98 ص 99

[2] – محمد زروال : مصدر سابق ، ص 428 .

[3] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 103 .

[4] – نفسه ، ص 104 .

لأن الهدف من هذه العملية كما ذكرنا آنفا ، هو إيصال الأسلحة للولاية المعنية بالأمر وليس قتال قوات المحتل الفرنسي .

و بفضل عزيمة الرجال التي لا تعرف الكلل ولا الملل ، الذين آمنوا إيمانا عميقا بالله وبالجزائر وطنا عربيا إسلاميا ، تتابعت عمليات العبور وتضاعفت ، حتى بعد إنشاء ومد خطي شال وموريس ، بحيث يتم فتح ثغرات بواسطة المقصات العازلة للكهرباء .[1]

و كان المجاهدون يستعملون إذا اقتضى الأمر أنابيب البنكلور الناسفة ، و نزع الألغام بمناطق إستراتيجية مختارة تمتاز بأشجارها الكثيفة ودروبها الوعرة ، كالمشروحة والفج والزيتونة .

و من قوافل العبور المتعددة التي لا تحصى ، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي :

1-عبور كتيبة بقيادة " محمد القبايلي " في أواخر سنة 1956 ، الذي استشهد بعد أداء المهمة الشاقة ، المتمثلة في إيصال القافلة إلى الولاية الثالثة "القبائل " .

2-عبور قافلة بقيادة " احمد البسباسي " في ربيع سنة 1957 إلى الولايات الواقعة في عمق التراب الوطني ، و بالتحديد إلى الولاية الثالثة والعودة إلى مركز قيادة الفيلق الأول بسلام .

3-عبور قافلة تتكون من كتيبة يقودها " قنون سليمان " المدعو " سليمان لاصو " سنة 1958 ، وذلك إلى الولايتين الثالثة والرابعة .

4-عبور كتيبة بقيادة " يوسف الأطرش " سنة 1957 ، و وصلت الى غاية المنطقة المحددة لها ، وهي " البرواقية " ، ورجعت إلى قاعدة تمركزها .

نستخلص مما ذكرناه آنفا ، على سبيل المثال كيف تتم عملية نقل القوافل * المحملة بالاسلحة المختلفة الأشكال والأحجام ، بالإضافة إلى الذخيرة إلى بعض الولايات .

إن القاعدة الشرقية أخذت على عاتقها مهمة شاقة للغاية ، تمثلت في تسليح الولايات التي لاتستطيع تسليح نفسها بنفسها نظرا لبعدها الشاسع عن نقطة التموين بالاسلحة الأوتوماتيكية .

وكانت سنة 1957 من بدايتها إلى نهايتها سنة حافلة بتسليح الولايات الأخرى بالاسلحة الأوتوماتيكية من قبل القاعدة الشرقية .[2]

---

[1] – عمار ملاح : مصدر سابق ، ص 90 .

* إضافة إلى نقل الأسلحة فقد تم إنشاء أول مركز لتدريب المجاهدين على فن القتال ، وقد افتتح بمدينة باجة ، ثم أنشأ بعد ذلك محمد العموري مدرسة إطارات قريبا من مدينة الكاف ، وذلك كله في التراب التونسي ، أنضر الملحق رقم : 10/09 ص 101/100 .

[2] – الرائد الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 101 .

فقد بلغ عدد القطع التي خرجت من القاعدة الشرقية إلى الولايات الأخرى بواسطة القوافل ، ما يقرب 5500 قطعة من بندقية ورشاش صغير الحجم وكبيرة ، ومدافع الهاون المختلفة لعيارات من 45 م و 120 م ، بالإضافة إلى ذخائرها المختلفة الأحجام والأوزان .

إن هذه العملية الثورية والوطنية في نفس الوقت ، والتي قامت بها القاعدة الشرقية ، حملت النفس البشرية فوق طاقتها ، كيف لا و نحن نتصور جنديا محملا بالسلاح والذخيرة وبعض من لوازمه الشخصية ، متوجها من شرق البلاد إلى غربها ، وهي مسافة تعد بآلاف الأميال ذهابا وإيابا .[1]

ويضاف لكل هذا الثقل الملقى على عاتق المجاهد ، تلك المخاطر التي تتعرض لها القافلة سواء في ذهابها أو إيابها ، والتي تتجسد في الكمائن التي ينصبها العدو وفي المسالك الوعرة .

ومهما حاولت القافلة تجنب الاشتباك مع العدو ، فان هذا الأخير يفرض عليها المواجهة المسلحة فرضا في بعض الأحيان ، فتشتبك معه على الأقل مرة واحدة قبل وصولها إلى الولاية المحددة لها من طرف القيادة ، وينتج بالتالي من ذلك معركة فيها خسائر في الأرواح والعتاد .[2]

هذه العملية الصعبة المحفوفة بالمخاطر والصعاب ، أدتها القاعدة الشرقية ، فحققت الهدف الذي كانت تصبو إليه الثورة رغم كيد العدو الفرنسي ، فاستطاعت أن تقوم بتسليح أغلبية ولايات الداخل بالاسلحة الأوتوماتيكية ، وهذا دليل قاطع أن الثورة الجزائرية كانت جارفة ، لم تستطع أية قوة مهما كانت أن تقف في طريقها نحو الهدف المنشود المتمثل في الحرية والاستقلال ؟

و قد التزمت الثورة التحريرية التزاما كاملا بالوضوح والشفافية والانضباط والنظام الصارم ، لكي لا تترك مجالا لاندساس المندسين في صفوفها ، سواء كانوا من العدو الفرنسي أو عملائه الحاقدين على الثورة التحريرية التي آلت على نفسها أن تكافح الاستعمار الاستيطاني ، وعملائه لهذا اتخذت الثورة جملة من الإجراءات الصارمة ، وجعلتها منهجا لها في جميع المجالات منها قوافل تموين الولايات بالاسلحة الأوتوماتيكية ، انطلاقا من القاعدة الشرقية إلى الولايات الأخرى .[3]

---

[1] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 103 .

[2] – محمد زروال : مصدر سابق ، ص 56 .

[3] – نفسه ، ص 57 .

و قبل انطلاق القافلة أو الكتيبة من القاعدة الشرقية ، كان يجب أولا أن تكون الولاية المعنية على علم مسبق بذلك . كما يتسلم قائد الكتيبة قبل انطلاقه قائمة الأسلحة والذخيرة التي يسلمها إلى الولاية المعنية بالأمر بالإضافة إلى حصوله على رخصة مرور تسمح له بدخول الولايات التي يعبرها للوصول إلى الولاية المعنية .[1]

ويحمل قائد الكتيبة " قافلة " رسالة من قائد القاعدة الشرقية أو من ينوب عنه ، إلى قائد الولاية المعنية توضح اسم قائد الكتيبة ونوابه والمهمة التي أوكلت إليه .

وعند عودة الكتيبة يضع قائد الولاية على قائمة الأسلحة التي هي في حوزة قائد الكتيبة ختم الولاية وتوقيعه وملاحظاته التي تتضمن استلامه لجميع الأسلحة الموجودة في القائمة بذخيرتها . وإذا وجد نقصا في الأسلحة أو الذخيرة ، يضع ملاحظاته على ذلك . وعند عودة قائد الكتيبة يسلم القائد من جديد إلى قائد القاعدة الشرقية أو ما ينوبه .[2]

قبل انطلاق كتيبة التموين يزود قائد الكتيبة بمبلغ من المال للضرورة ، للأكل خاصة . وللكتيبة أربع مصادر للأكل إما من مالها الخاص أو من الشعب أو من مراكز الأكل التابعة لجيش التحرير المنتشرة في كل مكان على طول المسافة التي تقطعها الكتيبة ، وفي حالة تعرض الكتيبة لحصار من طرف القوات الفرنسية فإنها تقتات بوجبات غذائية باردة أو جافة تكون قد تزودت بها قبل انطلاقها من القاعدة الشرقية .[3]

كما يرافق الكتيبة دليل عسكري ، وأخر من المسيرين التابعين لكل دشرة بها الكتيبة . وتمنح الكتيبة كلمة السر التابعة للمنطقة التي تصل إليها ، كذلك توجد كلمة سر خاصة بالكتيبة تتغير كل 24 ساعة .

و تزود الكتيبة التموينية بتعليمات صارمة تنص على عدم التدخل في شؤون أي ولاية تمر على ترابها ، وعدم الاشتباك مع قوات العدو إلا في حالة الضرورة القصوى ، مع العلم أن كل جندي من جنود القافلة أو الكتيبة يحمل سلاحه الخاص ، بالإضافة إلى أربع قطع من الأسلحة الخفيفة و 500 طلقة " خرطوشة " .[4]

---

[1] – عمار ملاح : مصدر سابق ، ص 94 .

[2] – صدام رزقي : مرجع سابق ، ص 38 .

[3] – الطاهر سعيداني ، مصدر سابق ، 104 .

[4] – نفسه ، ص 106 .

أما بالنسبة للسلاح الثقيل ، فيحمل كل جندي قطعة ، إضافة إلى سلاحه ، وذخيرة مدافع الهاون من عيار 45 م إلى 120 م ، أما القنابل اليدوية فكل جندي يحمل الكمية التي يستطيع حملها .

كما يجب على كل قافلة أن تزود القاعدة الشرقية بأخبارها عند وصولها إلى الولاية المعنية ، عن طريق الجهاز اللاسلكي ، وإذا حصل عطل في الجهاز يكون الاتصال بالكتيبة والقاعدة الشرقية بواسطة الرسائل التي تصل عن طريق الولايات التي تمر بها القافلة .[1]

أما من الناحية الصحية والإدارية ، فإننا نجد في كل فصيلة من فصائل الكتيبة ممرضا وكاتبا تحت مسؤولية قائد الكتيبة ونوابه ، ونشير هنا إلى أن الكتيبة تزود ممرضيها بالأدوية اللازمة إلى أقصى حد ممكن ، قبل انطلاقها .

وما يمكن استخلاصه في نهاية المطاف كنتيجة هو أن مرور القوافل وتنقلها من القاعد الشرقية الى ولايات الداخل ظاهرة ثورية تنفرد بها الثورة الجزائرية ، وهي شبيهة حقا بالمسيرة الثورية الكبرى التي قادها ماوتسي تونغ في الصين الشعبية .[2]

ب / القاعدة الشرقية واستغلال الموارد الطبيعية لصالح الثورة الجزائرية :

استطاعت القاعدة الشرقية أن تكون بمثابة القوة الضاربة عدة وعتادا ورجالا داخل الثورة التحريرية ، وهو ما أدى بالسلطات الاستعمارية إلى حشد ما يقارب 86000 ألف جندي ، حسب عدد من التصريحات الفرنسية مدججة بالسلاح تساندها الطائرات الحديثة وتدعمها الدبابات .

حشدت هذه القوة العسكرية لتقابل حوالي 5000 مجاهد منضوين تحت لواء قادة القاعدة الشرقية ، كما قامت السلطات الاستعمارية بحرق جميع القرى الريفية وتحويلها إلى مناطق محرمة ، فأقدمت على تشتيت شمل الجماهير الشعبية في هذه المنطقة الحساسة والإستراتيجية في ذات الوقت .

أمام هول الحصار الاستعماري ، لجأ عدد كبير من سكان هذه المناطق إلى القطر التونسي ، في حين نقل البعض الآخر إلى المحتشدات التي أقامتها السلطات الاستعمارية وأحاطتها بالأسلاك الشائكة ، يخضع الدخول إليها والخروج منها برخصة مرور يوقع عليها ضابط الفرع الإداري المختص "sas " المقيم داخل المحتشد والمحمي من قبل جنود فرنسيين وبعض العملاء " القومية " ، وكان الغرض من إقامة هذه المحتشدات محاولة عزل الثورة عن الشعب .[3]

---

[1] – مصطفى هشماوي : مصدر سابق ، ص 114 .

[2] – محمد زروال : مصدر سابق ، ص 430 .

[3] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 108 .

و لما حلت سنة 1957 أصبحت القاعدة الشرقية تتخبط في أزمة مادية ، مما دفع بها إلى تغذية جيشها "بالسويكة " وهي عبارة عن خليط من القمح يحمر على النار ، ثم يطحن وتضاف إليه كمية من الخروب المطحون ويتم خلط المادتين بقليل من الماء ولما تخضر نهائيا ، وتكون جاهزة للأكل ، يعطى لكل جندي عدة وجبات منها وعندما يحين وقت الغداء أو العشاء ، يقوم الجندي بخلط كمية من السويكة بالماء ويتناولها كوجبة كاملة .[1]

هذا الأمر دفع قائد القاعدة الشرقية " عمارة العسكري "[*] إلى الاتصال بلجنة التنسيق والتنفيذ طالبا منها المساعدة المادية لتمويل الجيش الوطني الشعبي التابع للقاعدة الشرقية ، وأمام اندهاش الجميع كان رد اللجنة المتواجدة في تونس تحت قيادة البائات الثلاثة بالسلب [**] ، لقد رفضت الهيئة التنفيذية للثورة طلب عمارة العسكري للأسف الشديد ، وأجابته بالحرف الواحد : (إن اللجنة قررت أن تعتمد كل ولاية على نفسها ، فلا تنتظر أي مساعدة مالية أو مادية من اللجنة) .

هذا الرفض الذي كان له وقع مؤسف في نفوسنا ، دفع بالقيادة إلى عقد اجتماع ترأسه العقيد "عمارة العسكري " ، و " الرائد طاهر سعيداني " ، وكان الغرض منه إيجاد حل للأزمة المالية التي كانت تمر بها قاعدتنا .[2]

ج / عمليات ومعارك في القاعدة الشرقية 1958/1956 :

1 – في أواخر جوان 1956 قررت الناحية الأولى بقيادة شويشي العيساني القيام بهجوم شامل على مراكز العدو ، ومنشآته الاقتصادية في كل من بوثلجة والريغية وبحيرة العصافير ، ومحطة ضخ المياه بواد عنان ، وبوقلاز هاتان المحطتان كان يحرسهما جنود العدو الفرنسي ، تم على الساعة التاسعة ليلا ودام ساعتين ونصف الساعة ، حيث كان الغرض من هذا الهجوم هو بث الفوضى والحط من معنويات جيش الاستعمار الفرنسي وتهديده ، وفي نفس الوقت ترسيخ الإيمان في قلوب المواطنين لقطع الأسلاك الهاتفية وتدمير الجسور وأنابيب المياه الصالحة للشرب والرابطة بين بوثلجة و بحيرة العصافير و عنابة ، و كان الهجوم مركزا على ثكنة العدو الموجودة بالريغية بلدية بوثلجة آنذاك ،[3]

---

[1]– الرائد الطاهر سعيداني ، مصدر سابق ، ص 107 .

[*] اعمارة العسكري : هو المعروف بعمارة بوقلاز أحد قادة القاعدة الشرقية ، أنظر الملحق رقم : 05 ص 96 .

[**] البائات الثلاثة تسمية لكل من : كريم بلقاسم ، بن طوبال ، بوصوف .

[2] – عمار ملاح : مصدر سابق ، ص 114 .

[3] – صدام رزقي : مصدر سابق ، ص 48 .

وقد أدى هذا الهجوم إلى قيام القوات الفرنسية بأعمال انتقامية ضد المواطنين من خلال القتل والتعذيب .[1]

2 – الهجوم على مركز المشري : وكان ذلك في 20 اكتوبر 1957 حيث كلف العقيد عمارة بوقلاز مسؤول القاعدة الشرقية قادة الفيالق الثلاث للتحضير لهذه الهجومات ، ويذكر الطاهر الزبيري قائد الفيلق الثالث انه وقع اختياره على مركز المشري فقام بإرسال جنود ومخبرين للاستعلام حول هذا المركز حيث كان هذا المركز البعيد عن الحدود التونسية بحصانة و صناعة حيث تتركز حوله خنادق وملاجئ للحراسة وكان ذا أسوار عالية حيث تم التخطيط لهذا الهجوم من خلال الاعتماد على عنصر المباغتة وحصار المركز من ثلاثة جهات على ان يستهدف المجاهدون في البداية حراس المركز الموزعين على أبراج المراقبة المحيطة بمركز المشري و من ثم الهجوم على خنادق العدو ، و التقدم إلى داخل المركز بعد القضاء على دفاعاته الأمامية والعمل على احتلاله والاستيلاء على الأسلحة بداخله وتم إرسال فصيلة لشل أي ردة فعل للمركز المجاور المسمى "قاجلان"،وتم الهجوم في حدود العاشرة والنصف ليلا ، حيث هاجمت القوات مركز المشري وقصفته بمدافع[1] الهاون و أمطرت حرس المركز بالرصاص وتقدمت قوات الفيلق الثالث على أسوار المركز واحتلت بعض الخنادق والملاجئ المحيطة به وقد أدى هذا الهجوم إلى القضاء على نحو 12 عسكري فرنسي و فر 25 من المركز و تم غنم 12 بندقية حربية وبندقية رشاشة من نوع " 24 – 29 " ومدفع هاون من نوع مورتي وجهازي لاسلكي ، في حين استشهد 6 مجاهدين وجرح 14 آخرين .[2]

3 – معركة جبل الواسطة : في 1958/01/11 وكان سببها الانتقام لأبناء الجزائر اللاجئين الهاربين إلى الحدود و المقيمين في الأكواخ ، وحيث قاد هذه العملية موسى حواسنية و قام بنصب كمين محكم و توجيه ضربة قوية للفرنسيين ، حيث هُيأت ثلاث فصائل مسلحة و دعمت قيادتها بثلاثة قادة آخرين حيث تمركزت الفصائل بجل واسطة على الطريق بين المركز 28 والمناطق الحدودية التي يتجمع بها اللاجئون و عند مرور عساكر الكتيبة الفرنسية وسط الغابة تم إمطارها بوابل من الرصاص وقصفها بقذائف الهاون [3]، وقد أسفرت هذه العملية على قتل 11 جنديا و إصابة

---

[1] – إبراهيم العسكري : " لمحات من مسيرة الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرقية " ، دار البعث ، الجزائر ، 1990 ص 178 ص 179 .

[2] – نفسه ، ص 180 .

[3] – رزقي صدام : مرجع سابق ، ص 50 .

10 آخرين بجروح و أسر 5 آخرين ، ولولا تدخل الطيران الفرنسي لأبيدت الكتيبة بكاملها ، وقد استغلت قضية الأسرى إعلاميا قبل أن يتم إطلاق سراحهم شهر أفريل 1959 .[1]

د/ نماذج من التنظيمات العسكرية بالقاعدة الشرقية :

- أوامر عسكرية :

1 / - يمنع منعا باتا إرسال المرضى إلى تونس إلا المصاب بجروح خطيرة من جراء كمين حضره أو اشتباك بشرط أن يمر بالمنطقة ويأخذ رخصة منها .

2 / - على كل ناحية أن تهاجم متى استطاعت مركز من مراكز الاستعمار كل شهر

3/-على كل ناحية أن ترسل قائمة المجاهدين و عائلاتهم و الأسرى منهم في كل شهر و المفقودين كذلك.

4 / - يكون يوم 1958/01/25 هجوم على المراكز الفرنسية بعموم المنطقة.

5/-العناية التامة بالذين انظموا للنظام ومقاومة الذين لم ينظموا مقاومة عسكرية و سياسية معا.

6 / - لا يجوز قتل الأسرى من العدو و خصوصا الضباط و تبليغهم إلى المنطقة أمر أكيد متى أمكن و هي تبلغهم للولاية .

7 / - تقرير الأعمال الحربية يكون كالتالي : رقم الكتيبة عدد جنودها تفصيل المعركة أو الكمين قائد الكتيبة - تصوير طائرات التي أسقطتها مدفعية جيش التحرير بالأرقام المرسوم عليها و السيارات و الدبابات المحطمة و الجسور التي نسفت .

وإعطاء أسماء الضباط و الجنود المقتولين في المعركة إن أمكن ، وترسل هاته الصور إلى المنطقة مع بقاء الأصل في الناحية .

8 / - تصوير القرى و العمارات التي دمرت أو أضرمت فيها النيران من طرف الاستعمار إذا أمكن

9 / - تكون رقابة شديدة تتولى رعاية القسمات في كل ناحية .

10 / - مقاومة العدو على النمط التالي : الهجومات على المراكز ، نصب الكمائن في لأماكن المأمونة ، ضرب حراس القوافل ، تكوين فرق خاصة لضرب الطيران الفرنسي في الأماكن التي يحلق عليها ، ضرب المراكز الفرنسية بالأسلحة العصرية . [2]

---

[1] - عمار ملاح : مصدر سابق ، ص 251 .

[2] - نفسه ، ص 252 .

11 / – تسجيل الجيش من الملازم الثاني إلى الجندي يكون كالآتي : اسم و لقب الجندي ، تاريخ الازدياد ، زمن التجنيد ، درجة الثقافة ، مكان الولادة ، السلاح ، الحرفة ، عائلته ، فرقته ، رقم كتيبته ، المعارك التي خاضها ، سيرته .

12 / – تسجيل الاجتماعات الرسمية ، ترسل منها نسخة إلى المنطقة .

– أوامر عسكرية للنواحي و القسمات :

هذه نقط هامة وهي مفيدة للأعمال بخصوص راجيا من الإخوان أن يعيرهم اهتماما كبيرا لما في ذلك من مصالح جمة ينتج عنه تطبيقها تقدم ملموس في العمل (العسكري) .

(1) شن الهجومات * على المراكز الاستعمارية الموجودة في كل ناحية و ذلك على الترتيب الآتي :

– يوم 58/2/1 يكون هجوم عاما في كل النواحي .
– الهجوم الثاني في 10 / 2 / 1958.
– الهجوم الثالث في 20 / 2 /1958.
– الهجوم الرابع في 28 / 2 / 1958. [1]

و خلال هذه المدة تكون فيها الهجومات كذلك يجب على كل جنود النواحي أن يخربوا جميع الطرق النافعة للمراكز الاستعمارية بدون انقطاع و بكل الوسائل ليعجز الاستعمار عن إيصال المؤونة و الذخيرة الحربية لمراكزه.

(2) تكوين فرق في كل ناحية لضرب الطيران في الأماكن التي تحلق فوقها و في المواقع (الإستراتيجية) و على أن تكون هذه الفرق مزودة بالمدافع الرشاشة (بران) ، و (أوتشكيس) و الأسلحة الملائمة لضرب الطيران .[2]

---

* نتيجة لهذه الهجومات على المراكز الفرنسية ، اعلنت فرنسا عن حق التتبع و مطاردة الثوار في التراب التونسي و هذا ما خلق العديد من الازمات بين تونس و فرنسا .

[1] – عمار ملاح : مصدر سابق ، ص 249 .

[2] – نفسه ، ص 250 .

(3) المحافظة على التدريب و نقطه الرئيسية بحيث يخصص للتدريب ساعة و نصف يوميا . والحراسة بحيث أ ، نعيرها اهتماما كبيرا ، و السرف في ضرب الخرطوش تكون عليه المحاسبة فيما بعد .[1]

[1] – عمار ملاح : مصدر سابق ، ص 252 .

ملخص الفصل الأول :

إن الثورة التحريرية الجزائرية حين اندلعت في 01 نوفمبر 1954 كان لها صدى كبير في كل العالم ، رغم ردود الفعل الأولى التي شككت بها خاصة الفرنسية ، لكنهم فوجئوا بأحداث 20 أوت 1955 التي كذبت الإدعاءات بتبعية الثورة للخارج و كون مفجريها خارجين عن القانون ...

رغم استمرارية الثورة إلا أنها واجهت عدة مشاكل خاصة في عامها الأول ، و لعل مشكلة التسليح كانت من أهم المشاكل التي خصصت لها جبهة التحرير حيزا خاصا و اهتماما كبيرا ظهر من خلال تعيين وفد يعمل على الحدود التونسية الجزائرية الشرقية أو ما أصبحت تعرف به القاعدة الشرقية التي كان بها دور كبير في نقل الأسلحة من التراب التونسي إلى الولايات الجزائرية .

و تعتبر القاعدة الشرقية من النواحي ذات المكانة الكبرى في الثورة الجزائرية ، بل و في تاريخ مقاومة الاستعمار بصفة عامة فمنذ نوفمبر 1954 عينت سوق أهراس كناحية أساسية بمنطقة الشمال القسنطيني وكان يمثلها في قيادة الناحية الشهير باجي مختار .

إن تسليح الولايات الواقعة في عمق التراب الوطني كانت من أعقد المهام التي ألقيت على عاتق القاعدة الشرقية ، و يعود ذلك إلى طبيعة العمليات و المخاطر التي كانت تحيط بها ، و قد قامت في القاعدة الشرقية عدة معارك نتيجة التصادم مع الاستعمار الفرنسي من أهمها نذكر الهجوم على مركز المشري و كان ذلك في 20 أكتوبر 1957 و معركة جبل الواسطة 11 جانفي 1958 التي كان سببها الانتقام لأبناء الجزائر اللاجئين إلى الحدود التونسية الجزائرية .

الفصل الثاني :

تونس بين الأزمات السياسية و مطلب دعم الثورة الجزائرية

1958/1954

الفصل الثاني : تونس بين الأزمات السياسية و مطلب دعم الثورة الجزائرية 1954 / 1958

المبحث الأول : الأوضاع العامة لتونس 1954 / 1958

1 / الأوضاع الداخلية لتونس .

2 / علاقات تونس الخارجية 1956 – 1958 .

3 / الأزمة الجزائرية – التونسية جوان 1958 .

المبحث الثاني : الدعم التونسي للقضية الجزائرية و موقف فرنسا منه :

1 / الدعم المعنوي .

2 / الدعم المادي .

الضغوط الفرنسية على تونس .

الفصل الثاني : تونس بين الأزمات السياسية ومطلب دعم الثورة الجزائرية 1954 / 1958

المبحث الأول : الأوضاع الداخلية والخارجية لتونس 1958/1955

1/ الأوضاع الداخلية لتونس :

إن المتتبع للوضع في تونس – بعد توقيع اتفاقيات الاستقلال – يلاحظ أن الوضع لم يكن اقل شانا من الذي كان سائدا في المغرب الأقصى ، ففي تونس كان بروز المعارضة واضحا أثناء بداية المفاوضات التونسية الفرنسية ، ويمكن القول أنها كانت قبل ذلك بالنظر لطبيعة التشكيلة التي كان يتكون منها حزب الدستور الجديد ، فالحزب كان منقسما إلى تياران متصارعان احدهما ممثل الاتجاه الاستقلالي المنادي بالاستقلال التام ووحدة الكفاح في المغرب العربي ويمثله صالح بن يوسف [*] الأمين العام للحزب ، والثاني هو الاتجاه الذي قبل بالمفاوضات واتفاقيات 03 جوان 1955 ويمثله الحبيب بورقيبة رئيس الحزب [**] .

أثناء المفاوضات طلبت الحكومة الفرنسية من حزب الدستور الجديد أن يوجه تعليماته إلى الثوار بأن يسلموا أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية فوافق الحزب على ذلك و أرسل مندوبين عنه للاتصال بالثوار لإقناعهم بالطرح الفرنسي وفعلا استطاع الحزب إقناع جزء كبير من الثوار بتسليم أسلحتهم والعودة إلى الحياة المدنية ، هذا العمل الذي قام به حزب الدستور الجديد اعتبره صالح بن يوسف تنازلا يجعل تونس تفاوض من مركز ضعيف ، ومن جهة أخرى فالاتفاقية التي تم التوصل إليها تعطي لفرنسا وحدها الحق في التصرف في مجال الخارجية والدفاع ، و هذا يعني دخول تونس في الاتحاد الفرنسي .[1]

---

[*] صالح بن يوسف (1910 – 1961) بجربة التونسية ، سياسي تونسي من زعماء حزب الدستور الجديد درس الحقوق ، في عام 1948 أصبح أمينا عاما للحزب ، و أصبح بورقيبة رئيسا له ، تمت تصفيته في فرانكفورت بألمانيا بقرار من بورقيبة .

[**] الحبيب بورقيبة : (1903 – 2000) بلمنستير التونسية ، تلقى تعليمه بالصادقية ، أسس حزب الدستور التونسي الجديد ، في أول جوان 1955 يعود إلى تونس و يوقع إتفاقية بين تونس و فرنسا ، و في 20 مارس 1956 يتم الإعلان عن استقلال تونس . أنظر كتاب : معمر العايب " مؤتمر طنجة المغاربي " ، دار الحكمة ، الجزائر 2009 ، ص 35

[1] – نفسه ، ص 82 ص 83 .

بعد توقيع الاتفاقية التونسية الفرنسية صرح صالح بن يوسف المعارض للاتفاقية قائلا : " إن الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقعتها تونس مع فرنسا وان الحزب المتكلم باسم الشعب التونسي العربي قبل الحكم الذاتي نحو الاستقلال التام ولذلك فهو يرفض أي اتفاق يقر الوضع "

و من الأطراف الأخرى التي عارضت هذه الاتفاقية السيد طاهر الأسود * قائد جيش التحرير التونسي ،الذي كانت له قناعة بالمبادئ الراسخة حول وحدة المصير بين قضية التحرر التونسية وقضية الجزائر والمغرب الأقصى وكامل الوطن العربي ،وفاءه لهذه الفكرة دفعه للقيام بعمليات عسكرية ضد القوات الفرنسية في الجزائر في منطقة سوق أهراس والسفر إلى مصر لجمع الأموال و الأسلحة بهدف دعم المعارضة للاتفاقيات التونسية الفرنسية . [1]

و بعد عودة الحبيب بورقيبة إلى تونس عقب توقيع اتفاقية جوان 1955 ** وفي الفترة التي كان فيها صالح بن يوسف يترأس وفدا مشاركا في مؤتمر باندونغ استطاع بورقيبة مدعوما من السلطات الفرنسية أن يواجه قوة التيار الثوري الذي يتزعمه صالح بن يوسف ، هذا الأخير بعد عودته إلى تونس حاول رئيس الحزب الحبيب بورقيبة إقناعه بالعدول عن معارضته للاتفاقية وعقد معه عدة اجتماعات لهذا الغرض وأكد الرئيس بورقيبة لصالح بن يوسف أنه قد اتفق مع المقيم الفرنسي "سيدو" على أن استقالة حكومة الطاهر بن عمار فورا ، ويكلف صالح بن يوسف بتشكيل الحكومة الجديدة ، مقابل أن يسكت عن مهاجمة الاتفاقيات ، إلا أن صالح بن يوسف رفض هذا العرض ، وابلغ بورقيبة أن هذه الاتفاقيات { مضرة بمصلحة الوطن العليا وبقضية تحرير المغرب العربي ووحدته } [2]

---

* الطاهر الأسود : ولد بريف الحامة سنة 1910 قام بعدة عمليات عسكرية في جهة الحامة ، عرف بميله إلى الاستقلالية والتمسك بالمبادئ التي قامت عليها الثورة ، توقف عن المعارضة لهذه الاتفاقية منذ إعلان الاستقلال التام عام 1956 . أنظر كتاب " مؤتمر طنجة المغاربي " ص 84 .

** اتفاقية جوان 1955 :وقعها بورقيبة مع فرنسا ليتم في 20 مارس 1956 الإعلان عن استقلال تونس.

[1] – معمر العايب ، مرجع سابق ص 83 .

[2] – نفسه ، ص 85 .

بعد فشل محاولات بورقيبة لإقناع صالح بن يوسف في قبول الاتفاقية ، سارع بورقيبة كعادته وبمباركة من فرنسا إلى فصل صالح بن يوسف من الأمانة العامة للحزب ومن عضوية المكتب السياسي ، وأثناء انعقاد مؤتمر حزب الدستور الجديد في نوفمبر 1955 في مدينة صفاقس ، وقد صرح بورقيبة أثناء هذا المؤتمر : (بأنه لا يمكن أن يتسامح مع زعيم التيار الثوري صالح بن يوسف و لا حتى مع جمال عبد الناصر) وكرد فعل على هذا الفصل فإن أنصار صالح بن يوسف في الحزب اخذوا في تشكيل حركة ضغط على الاستعمار والحكومة التونسية[1] ، وانضم قسم من جيش التحرير بقيادة الطاهر الأسود إلى المعارضين للاتفاقية ، وعادوا إلى الجبال مرة أخرى حيث وجهوا نداء إلى الشعب التونسي جاء فيه ما يلي :" تعلم القيادة العامة للجيش الوطني التونسي أنها كونت على بركة الله جيش تحرير وطني تونسي ومهمته تطهير البلاد من الاستعمار وأذنابه وتوحيد النضال مع جيش التحرير الجزائري والمراكشي" [2]

عقب هذا النداء الذي ينم على معارضة مشاريع فرنسا قررت السلطة التونسية إلقاء القبض على صالح بن يوسف الذي فر والتحق بطرابلس ليبدأ المعارضة للنظام التونسي البورقيبي ، وأثناء هذه الفترة كان لثورة 23 يوليو في مصر وتبنيها لقضية تحرير المغرب العربي ووحدته أثر كبير في نفوس الوطنيين و أصبحت مصر والرئيس عبد الناصر نقطة استقطاب كبيرة للثوريين العرب .[3]

---

[1]– معمر العايب ، مرجع سابق ، ص 85 .

[2]– نفسه ، ص 86 .

[3]- نجاة بن يحوب : " الدعم العربي للثورة الجزائرية 1954 / 1962 " ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر ، جامعة محمد خيضر بسكرة 2012 / 2013 ، ص 30 .

إن تأكد فرنسا من تصاعد تيار القومية العربية ، جعلها تقتنع بأنها إذا لم تمنح الاستقلال لتونس ، فإن التيار الثوري القومي ، بدعم من جمال عبد الناصر سوف يتغلب على التيار المتفرنس في تونس ، وبذلك تخسر نفوذها الثقافي والاقتصادي في هذا القطر المغاربي ، لذلك سارعت حكومة "غي مولي " الفرنسية إلى منح الاستقلال إلى تونس بموجب برتوكول 20 مارس 1956 في نطاق التكافل مع فرنسا وراحت نفس السياسة التي انتهجتها للمغرب الأقصى حيث لعبت دورا مهما في إعادة هيكلة الجيش التونسي سنة 1956[1] ، وهو الدور الذي قام به الضباط الفرنسيون في إعادة تشكيل قوات الحماية القديمة في ثوب جديد يعف بالجيش الوطني التونسي ، فالمديرية العامة للشؤون المغربية والتونسية " الخارجية الفرنسية " ، أخذت هذه التحاليل للنظر في إنشاء جيش وطني تونسي يوضع تحت سلطة القيادة العامة للقوات المسلحة أو بالأحرى تأسيس جيش مشترك داخل المجموعة الفرنسية التونسية للدفاع ، وكان ذلك من أهم المبادئ الأساسية لاتفاقية باريس التي منحت لتونس الاستقلال عام 1956 .[2]

---

[1] - معمر العايب ، مرجع سابق ، ص 86 .

[2] – نجاة بن يحوب ، مرجع سابق ، ص 33 .

2/علاقات تونس الخارجية(1956-1958) :

كان للوضع الداخلي لتونس تأثير مباشر على علاقاتها الخارجية ، خاصة بعد خروج المعارضة الفرنسية ممثلة في صالح يوسف ، إلى الخارج وعلى وجه التحديد مصر ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان ارتباط تونس في مجال علاقاتها الخارجية بفرنسا على أساس اتفاقيات الاستقلال جعلها مقيدة ، ولا تخرج عن فك ما ترسمه الإدارة الفرنسية في باريس ، فيما يتعلق بالقضايا المرتبطة بالمغرب العربي .

أما علاقات تونس الخارجية مع بعض البلاد العربية وخاصة مصر بدأت تتأثر بما كان يجري من أحداث داخل تونس نفسها ، لتصل إلى درجة التأزم ، بعدما أقدمت مصر على احتضان المعارضة * التونسية وتقديم المساندة لها في صراعها ضد النظام البورقيبي .

ونظرا لطبيعة تكوين الرئيس الحبيب بورقيبة ، فأنه لم يقتنع بفكرة الوحدة العربية ،لذلك ابتعد عن هذه الفكرة وعن المشرق العربي ، وأصبح ينادي بفكرة المغرب الكبير ، والذي يعني حسب رأيه عدم التخلي عن الكيانات السياسية الأربعة الواقعة بشمال إفريقيا ، ومن هذا التصور يتبين أن منطق الحبيب بورقيبة كان إقليمي أكثر منه مغاربي .[1]

وبسبب السياسة الخارجية التي انتهجها بورقيبة اتجاه القضايا العربية ، فإنه لاقى معارضة شديدة من البلدان العربية ، التي كانت كثيرا ما تتهمه بالولاء للغرب ، هذا ما أدى إلى عدم استقرار علاقات بلاده في معظم الأوقات مع البلدان العربية وتخليه عن مشاركة بلاده في أشغال الجامعة العربية ، خاصة مع قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، حيث ازدادت العلاقة تأزما .[2]

---

* في 15 ديسمبر 1951 أوقفت الحكومة الفرنسية المفاوضات وقامت باعتقال أعضاء الحكومة باستثناء صالح بن يوسف الذي فر إلى مصر وأعلن المعارضة بدعم من جمال عبد الناصر . انظر كتاب "معمر العايب : مرجع سابق ص 44 .

[1]- معمر العايب ، مرجع سابق ص 87 .

[2] - نفسه ، ص 89 .

هذا عن العلاقات التونسية مع البلاد العربية ، أما العلاقات التونسية الفرنسية فقد عرفت الاستقرار والهدوء في السنتين الأوليتين بعد الاستقلال ، وهذا راجع لكون الحكومة التونسية قد ارتبطت مع فرنسا باتفاقيات خولت لها تسيير شؤونها الخارجية ، لكن العلاقات التونسية الفرنسية عرفت تبدلات وتغيرات منذ عام 1957 ، نظرا لتدخل عوامل أخرى طرأت في مجال العلاقات الدولية منها تغير موقف الاتحاد السوفيتي من الثورة الجزائرية ، وبداية الولايات المتحدة الأمريكية في تغيير سياستها في شمال إفريقيا وفي تعاملها مع القضية الجزائرية .[1]

إن اتساع الثورة الجزائرية وتطورها بعد مؤتمر الصومام 1956 [*] ، و امتدادها إلى الأراضي التونسية والمغربية كقواعد خلفية لجيش التحرير الوطني ، خاصة تونس التي أظهرت دعمها للثورة الجزائرية التحريرية مما أدى بفرنسا إلى الضغط على تونس و قطع معوناتها المالية عليها ، وفسخ الاتحاد الجمركي القائم بين البلدين وامتناع الحكومة الفرنسية عن تقديم أي نوع من أنواع الأسلحة إلى تونس بما في ذلك الأسلحة الخاصة بالشرطة .[2]

---

[1] – معمر العايب ، مرجع سابق ، ص 89 .

[*] مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 : يعتبر الحدث الأكبر أهمية في تاريخ جبهة التحرير الوطني ، ففي هذا المؤتمر استطاع جيش التحرير الوطني ان يخرج مستفيدا من دروس عشرين شهرا مضت من الثورة و استطاع المؤتمر تحديد الأهداف السياسية للثورة ، والمبادئ الأساسية التي سارت عليها حرب التحرير ، إلى أن استطاع الغاية التي قامت لأجلها ، وعن تاريخ إجراء المؤتمر ومكانه فقد تغيرا لعدة أسباب منها تسرب معلومات عن المؤتمر عقب ضياع مستندات ووثائق المجاهد " كريم بلقاسم " قائد المنطقة الثالثة ، وبعد مداولات عديدة تم الاتفاق على أن ينعقد المؤتمر في واد الصومام ، حيث مركز قيادة المنطقة الثالثة . أنظر كتاب : محمد لحسن زغيدي : مرجع سابق ، ص 31 ص 33 .

[2] – مصطفى هشماوي ، مصدر سابق ، ص 90 .

3/الأزمة الجزائرية – التونسية جوان 1958 :

لقد مثل فشل مؤتمر المهدية [*] دليلاً واضحاً على تملص تونس من التزامات مؤتمر طنجة [**] وساعد الحكومة الفرنسية على مواصلة مخططاتها السرية لفك التضامن المغاربي ، وبعد عشرة (10) أيام من انتهاء المؤتمر جرت تونس لتوقيع على اتفاقية تمرير بترول إيجلي التي عدت طعنة لجبهة التحرير الوطني في الظهر.

إن سياسة التشدد التي أعلنها ديغول في الجزائر وإغراءاته لتونس دفعت بورقيبة للتكيف مع السياسة الجديدة وانتظار المبادرات المغربية ، وقد منح مؤتمر تونس لديغول مهلة كافية لإنجاح سياسته في تونس والمغرب ، وكفح جماح عسكريي ومُعمري الجزائر حتى يتفرغ لحل المشكلة الجزائرية في مرحلة تالية ، وكان مضمون رسالة ديغول إلى بورقيبة والوعد بجلاء القوات الفرنسية عن تونس ماعدا بنزرت محفزاً لاحتواء الموقف الفرنسي ، حتى أن بعض الأوساط التونسية كانت تروج إلى أن سياسة ديغول المعلنة بخصوص الجزائر هدفها التمويه ، وان الرجل ينوي حل المشكلة بعد إخضاع العسكريين وإقناع المعمرين ، وفي ذلك الظرف الموحي بأن حل مشكلة الجزائر بات مؤجلاً وأن مُقررات مؤتمر طنجة أصبحت تخدم المصالح القطرية لبورقيبة ، كان العرض الاقتصادي مغرياً لتونس إذ شمل كراء قاعدة بنزرت ونقل بترول إيجلي إلى قابس مقابل إيرادات مالية معتبرة ، حتى أن بورقيبة أكد أنه آن الأوان لتشعر تونس أنها لا تتسول أمام فرنسا ، وبهذه النضرة أعلنت تونس عن مصادقتها على اتفاقية 30 جوان 1958 التي تسمح للشركة الفرنسية " سترابسا " بتمرير غاز " ايجلي " عبر الأراضي التونسية إلى ميناء قابس .[1]

---

[*] مؤتمر المهدية : 17 جوان 1958 بالمهدية بتونس ، دعت إليه تونس وحضر فيه لجنة التنسيق والتنفيذ ، واهم قراراته دعم الثورة الجزائرية وجلاء قوات الاستعمار الفرنسي ، إدانة سياسة ديغول العسكرية في الجزائر ، وكنظرة عامة جاء لتطبيق قرارات مؤتمر طنجة . انظر كتاب " مؤتمر طنجة " معمر العايب ، ص 139 ص 140 .

[**] مؤتمر طنجة : أفريل 1958 بطنجة المغربية ، حضر فيه 19 عضواً ومنهم : فرحات عباس وعبد الحفيظ بوصوف ، أهم قراراته تصفية بقايا الاستعمار في المغرب ، والدعوة الى الوحدة المغاربية ، انظر كتاب "مؤتمر طنجة " معمر العايب .

[1]– عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية – المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954 – 1962) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري بقسنطينة ، 2008/2007 ، ص 402 .

لقد كان الإعلان مفاجئاً لجبهة التحرير الوطني وسببا كافياً لتأزم علاقاتها مع تونس ، ذلك أن هذا السلوك يمثل قطيعة لعلاقة الوفاق السائدة بين الطرفين ، وهو انتهاك صريح لقرارات طنجة ، خاصة وأن جبهة التحرير الوطني قد أوضحت من قبل خطورة المشروع وحذرت الحكومة التونسية من مخاطر التوقيع على هذه الاتفاقية ، إذ رفعت لها مذكرة في هذا الشأن في جانفي 1958 ، وأعقبتها بمذكرة أخرى جوان من نفس السنة أوضحت فيها الانعكاسات الخطيرة لتوقيع هذه الاتفاقية [1].

لم تتردد جبهة التحرير الوطني في اعتبار الاتفاقية التونسية سلوكا مخالفا لتعهدات النظام التونسي على رأسها لحبيب بورقيبة هذا الأخير الذي أكد أياما قلائل قبل الاتفاق التونسي الفرنسي : انه لا يستطيع أن يمنع التونسيين من الكفاح إلى جانب اخوانهم الجزائريين .

و من بين الأثار السلبية لاتفاق تونس مع فرنسا على حرب التحرير الجزائرية :

1 – كان هذا الاتفاق تدعيما غير مباشر سياسيا و ماديا من طرف الحكومة التونسية للاستعمار الفرنسي و قمع فرنسا المتضاعف للشعب الجزائري و ذلك ما عبرت عنه جبهة التحرير الوطني : ... إن تونس التي تلتهب النار على حدودها في كل ساعات الليل و النهار لا تستطيع أن تجهل أن النفط الذي سيمر عبر أراضيها هو نفط مغتصب يغتصبه الجيش الفرنسي لدباباته و طائراته و لا يمر من الجزائر إلى تونس إلا بعد أن يجر في طريقه الجثث البشرية ثم يذهب إلى مصانع تكرير مرسيليا ليعود من جديد في طائرات الحلف الأطلسي و دباباته لتقتل الجزائريين . [2]

2– إعلاميا ، استغل هذا الاتفاق من طرف فرنسا لمحاولة تغليط الرأي العام العالمي أن الثورة الجزائرية مرفوضة حتى من طرف جيرانها و أن حكومات أقطار المغرب العربي تتعامل عاديا مع فرنسا على حساب أهداف و نشاطات جبهة التحرير الوطني للوطن العربي و خارجه .[3]

---

[1]–عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 403

[2]– الدكتور : إسماعيل دبش : " السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954 – 1962 " ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 ، ص 110 .

[3]– نفسه ، ص 111 .

3- هدف فرنسا من هذا الاتفاق ليس فقط الكسب المادي من البترول بل كذلك محاولة التأثير السلبي على معنويات أعضاء جيش التحرير خاصة المتواجدون في الحدود الجزائرية – التونسية و طبعا إرادة ومعنويات جيش التحرير الوطني كانت أقوى من أن يؤثر عليها سلبا اتفاق مثل هذا .

لم تعتبر جبهة التحرير الوطني هذا السلوك التونسي مساسا فقط بالمصالح الوطنية للشعب الجزائري بل اعتبرته مساسا كذلك بالمصالح الوطنية التونسية في حد ذاتها :

...إن تونس الشقيقة تدرك جيدا أن النفط الذي يمر عبر أراضيها هو الذي تستهلكه الطائرات الفرنسية التي دمرت ساقية سيدي يوسف و تدمر كل يوم مثلها في الجزائر. [1]

4- اقتصاديا ، كان الاتفاق تدعيما مباشرا للاقتصاد الفرنسي المتأزم بسبب الأعباء المالية و المادية الناتجة عن معركة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي ، كما كان لهذا الاتفاق تأثيرا سلبي و جد حساس علي إستراتيجية جبهة التحرير الوطني و المتمثلة في العمل على عزل اي نشاط اقتصادي أو استثمار داخل الجزائر ، فنجاح فرنسا في تجسيد اتفاق اقتصادي في منطقة إستراتيجية لتواجد جيش التحرير الوطني معناه تواجد منطقة أمنة و بالتالي دعوة لاستثمارات أجنبية .[2]

5- إن استغلال بترول ايجلي يساعد على تدفق رؤوس الأموال الأجنبية بما يخدم السياسة الاستعمارية ويطيل أمد الحرب .

6- إن التوقيع على مثل هذه الاتفاقية يعني الاعتراف بحق فرنسا في التصرف في ثروات الجزائر .[3]

---

[1] – الدكتور إسماعيل دبش : مرجع سابق ، ص 111 .

[2] – نفسه ، ص 112 .

[3] – عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 404 .

إن تعامل الحكومة التونسية مع الثورة الجزائرية كان إذن يتأرجح بين العامل الأول ، الضغط الجماهيري التونسي لمساندة العمل المسلح من اجل تحرير الجزائر والعامل الثاني الجانب الرسمي تحت تأثير الرئيس بورقيبة المهادن للاستعمار الفرنسي ، انعكس هذان العاملان في سلوك تعامل الحكومة التونسية مع القضية الجزائرية و التي في النهاية انتصر فيها البعد الجماهيري . تضاعف هذا البعد أكثر و أصبح له تأثير أقوى على الموقف الحكومي التونسي عقب الاعتداء الفرنسي على قاعدة بنزرت التونسية (1961) و بالتالي أصبحت تونس و الشعب التونسي من جديد ضحية مباشرة للاستعمار الفرنسي مثل الجزائر و الشعب الجزائري .

لقد تطور الموقف الرسمي التونسي ليُساير الرأي العام التونسي بما فيها الموافقة على تحويل النشاطات المكثفة للحكومة الجزائري المؤقتة من القاهرة إلى تونس العاصمة في المرحلة الأخيرة (1960-1962) من حرب التحرير الجزائرية .[1]

لا يمكن إبعاد المداخيل المالية إلى تونس نتيجة تركيز نشاط الحكومة المؤقتة بتونس كعامل أساسي لدفع الحكومة التونسية للتعامل مع الثورة الجزائرية بأكثر إيجابية في نهاية الخمسينات ، حتى الرئيس بورقيبة في حد ذاته بدأ يتخذ مواقف متشددة من الاستعمار الفرنسي و يؤيد النشاط السياسي و العسكري لمعركة التحرير الوطني بالجزائر ، و يعترف بأن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لاستقلال الجزائر و استرجاع سيادتها ، بمناسبة اعتراف (14 جوان 1960) الرئيس الفرنسي ديغول و بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ، الذي تبعه رد الحكومة الجزائرية المؤقتة وذلك بإرسال وفد إلى فرنسا لتحضير لقاء مباشر بين الحكومتين (20 جوان 1960) ، ألقى الرئيس بورقيبة خطابا على الشعب التونسي اعتبر فيه هذا الحدث من الأحداث الهامة في سبيل تحرير الشعب الجزائري :

... واليوم بعد خمسة أعوام وثمانية أشهر مرت في كفاح وصمود أشم ودماء ودموع لم يسع فرنسا والجنرال ديغول إلا أن يغيرا نظرتهما للشعب الجزائري وان يكبرا فيه صموده العظيم وشجاعته النادرة وبطولته ، وهو الكفاح الذي أقام الدليل على أن الجزائريين يفضلون الموت على الإحقار مما جعل الشعب الجزائري يقف ويسمد في كفاحه كرجل واحد .[2]

---

[1] – الدكتور إسماعيل دبش : مرجع سابق ، ص 113 .

[2] – نفسه ، ص 114 .

يجب التذكير بأن مناقشة مواقف الحكومة التونسية مع الثورة الجزائرية لا ينفي أبدا مواقفها الايجابية والشجاعة ، والواقع أن هذا الانتقاد منطلق من قناعات واعتبارات تفرض على الحكومة التونسية تبني مواقف ترقى لمستوى وأهداف وممارسات ووسائل الثورة الجزائرية في معركتها التحريرية لأن :

1 – تونس في حد ذاتها كانت ضحية لنفس المستعمر ، وفي الحقيقة حتى بعد استرجاع استقلالها بقيت تونس معرضة مباشرة لتهديد واعتداء الاستعمار الفرنسي ، ضرب قاعدة بنزرت التونسية دليل عملي على ذلك .

2 – النظام التونسي كان واعيا بأن فرنسا لن تترك الجزائر بالطرق السلمية على غرار النموذج التونسي لأن الجزائر بالنسبة الى فرنسا جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي وسخرت من اجل ذلك كل الإمكانيات المادية والمعنوية والبشرية وذهبت حتى للموافقة على مطالب حركات الاستقلال لمعظم المستعمرات الفرنسية بإفريقيا بما فيها تونس والمغرب من أجل التفرغ للمشكل الجزائري . [1]

3 – كان مطلوبا من تونس المساندة المطلقة لحرب التحرير الجزائرية والضغط على فرنسا للاستجابة لمطالب جبهة التحرير الوطني لأنه بحكم الموقع الجغرافي والجوار والتواجد الاستراتيجي على مستوى البحر الأبيض المتوسط و تصاعد حرب التحرير الجزائرية وتضاعف قمع الاستعمار الفرنسي يؤدي إلى تهديد مباشر لأمن واستقرار تونس والمغرب العربي ككل .

4–عروبة النظام السياسي التونسي يجب أن تنعكس على الأقل في مساندة أي حركة تحررية عربية.

بالتأكيد كان لهذه العوامل تأثير فعال على الحكومة التونسية في تبني مواقف إيجابية خاصة السياسية والدبلوماسية ، تجاه القضية الجزائرية ، دبلوماسيا كان التنسيق بين تونس وبقية الأقطار العربية مكثفا وجادا من اجل تدويل القضية الجزائرية في مواجهة الدعاية الفرنسية بصفة خاصة والغربية بقيادة و.م.أ بصفة عامة متضمنة أن ما يحدث بالجزائر هو تمرد جماعة متطرفة خارجة عن القانون وأن ما يحدث في الجزائر لا يرقى لطرحه على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة كقضية دولية خلافا للطرح العربي .[2]

---

[1]– الدكتور إسماعيل دبش : مرجع سابق ، ص 116 .

[2] – عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 380 .

المبحث الثاني : مظاهر الدعم التونسي للقضية الجزائرية :

1 / الدعم المعنوي :

تشكل تونس وضعاً خاصاً للجزائر وثورتها التحريرية ، على غرار كل من ليبيا والمغرب الأقصى نظراً للاشتراك الثنائي في العديد من القضايا ذات المصير المشترك ، هذا إلى جانب كون تونس كانت من المناطق الأساسية لتمركز الجزائريين الهاربين من السياسة السلطوية للاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر والى غاية القرن العشرين ، وهذا الوضع المميز اثر على تونس مباشرة خاصة بعد اندلاع الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1954 والتي انتشر صداها في ربوع الأراضي التونسية وتجاوب معها الشعب التونسي بما في ذلك الجزائريون المقيمون في تونس خاصة طلبة العلم في الزيتونة ، وهناك عملت الصحافة التونسية * على نشر خبر الثورة لتزيد المهاجرين قوة وصلابة في دعم ثورتهم [1]، ومن جهة أخرى إشعار التونسيين بالمهمة الصعبة التي تنتظرهم في دعم اخوانهم الجزائريين والوقوف معهم في ضرائهم ، دعى هذا الدعم الصحفي فتح المجال واسعاً أمام الشعراء التونسيين الذين اهتموا بكفاح الشعب الجزائري وراحوا ينظمون القصائد الملتهبة ثورة وحماساً وبالتالي اثروا على الشرائح الشبانية داخل تونس خاصة الشباب الجزائري الوافد إلى تونس لطلب العلم ، ومن جهة أخرى فتحت تونس أبوابها للشعراء الجزائريين الذين راحوا بدورهم ينشرون قصائدهم الثورية في الصحف والمجلات ، طارقين اخطر باب وهو باب الإعلام خلال الفترة الاستعمارية ، لكن عملهم كان بعيداً كل البعد عن أعين الاستعمار وهو ما جعل أفكارهم وأرائهم ومشاعرهم تختلج في صدورهم عن وطنهم المسلوب وجذور كياناتهم العربية الإسلامية عن الثورة وبؤس الشعب والتفكير في مستقبله [2].

---

* من اهمها نذكر صحيفة الصباح حيث كان اول اعدادها 1951 كانت قريبة من الحزب الدستوري الجديد ، جريدة العمل : سياسية اخبارية ، لسان حال حزب الدستور الجديد . مديرها الحبيب بورقيبة ، و كذلك نذكر جريدة الطليعة ، الاسبوع ، الاستقلال ، صدى الزيتونة ، اليقظة صوت طالب الزيتوني . انظر " حبيب حسن اللولب " كتاب التونسيون و الثورة الجزائرية ج3 ، ص 320 / 321 .

[1] – الدكتورة مريم صغير : " مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954 – 1962 " ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2010 ص 130

[2] – نفسه ، ص 131 .

رغم وجود تونس خلال عام 1955 تحت هيمنة الاستعمار الفرنسي إلا أن مفكريها لعبوا دورا بارزا في دعم ثورة الشعب الجزائري وقضيته العادلة ، فقد اعتبرت مجلة الفكر التونسية أن الثورة الجزائرية ثورة الشعب التونسي والعرب ككل وخصصت لها حيزا إعلاميا كبيرا للإشهار وتتبع تطوراتها من خلال كتابات هؤلاء المفكرين .

كما لعب المفكرون التونسيون دورا بارزا لصالح الثورة الجزائرية ، من خلال كتاباتهم المدعمة والمناصرة للشعب الجزائري في شتى الصحف والجرائد التي كانت سلاحا فتاكا يخيف العدو ، وهذا ما عمدت إليه هذه الفئة المتنورة ، فمجلة الفكر * التونسية كانت من أهم المجلات الإعلامية التي خدمت الثورة الجزائرية واحتضنتها منذ اندلاعها ، وفي أول عدد لها لم يقتصر نشاطها على نشر أخبار الثورة فقط بل توسعت اهتماماتها إلى الإنتاج الفكري الجزائري ، كما أنها عبرت عن تضامن الشعب التونسي مع شقيقه الجزائري والتأكيد على الهوية العربية الإسلامية للشعبين ، والحث على الوحدة ، هذا إلى أنها كانت توجه سهامها اللاذعة للاستعمار الفرنسي وتندد بجرائمه وكانت أيضا تعمل على تعريف العالم بالقضية العادلة للشعب الجزائري .[1]

إن تجاوب الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية ابتداء من عام 1954 ، جعله يطرق كل المجالات ، فعلى غرار المجال الإعلامي ، لعبت الكتابات المسرحية هي الأخرى دورا هاما في التعريف بثورة الشعب الجزائري ، حيث كانت هذه الكتابات تستوحي موضوعاتها من عمق الثورة الجزائرية رغم قلتها ومع ذلك عبرت خلال مرحلة الثورة ، عن قضية الكفاح الوطني الجزائري والأبعاد العربية الإسلامية للثورة ، كما ان هذا التجاوب كان بالدرجة الأولى مع شرعية كفاح الشعب الجزائري ، وهو ما دفع به إلى الوقوف الى جانب ضد الاستعمار الفرنسي .[2]

---

* مجلة الفكر : مجلة دورية تونسية عملت منذ صدورها عام 1955 على الإشادة بالثورة الجزائرية وخصصت لها حيزاً إعلاميا لتتبع تطوراتها .

[1] – عمار بن سلطان و آخرون : " الدعم العربي للثورة الجزائرية " ج 3 ، مطبعة الديوان ، الجزائر ، 2007 ، ص 35 .

[2] – مريم صغير : مرجع سابق ، ص 133 .

إن الضغط المتواصل من طرف الثورة التحريرية ، دفع بالسلطات الاستعمارية إلى مراجعة حساباتها تجاه دول المغرب العربي منها تونس التي تحصلت على استقلالها بعد الاتفاق مع السلطات الفرنسية وذلك في مارس 1956. [1]

لقد كان هدف فرنسا من هذه العملية هو جر تونس إلى صفها والعمل على عزل الثورة عربيا ، من خلال إرساء قواعد التعاون بينهما ، لكن هذه الوضعية جعلت تونس تجد نفسها بين نارين ، إما أنها تتعامل مع التزاماتها السياسية تجاه فرنسا و إما أن تتضامن مع الشعب الجزائري ومساعدته في الخروج من أوضاعه التي فرضتها عليه السلطات الاستعمارية ، وذلك انطلاقا من نصوص كل أدبيات ومواثيق الحركات الوطنية ، وكذلك طموحات كل الشعوب المغربية . [2]

لم يكن بوسع تونس بعد استقلالها أن تعلن دعمها للثورة الجزائرية و خاصة وان النفوذ السياسي والاقتصادي الفرنسي بقي سيد الموقف في تونس ، لذا راحت تونس تناور من خلال بذل الجهود السلمية قصد إيجاد حل لقضية الشعب الجزائري ، وهو ما جعل الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة يلبي الدعوة التي وجهت له حضور ندوة السلام بالمغرب الأقصى بمشاركة بعض زعماء الثورة الجزائرية ، وممثلين عن السلطات الاستعمارية الفرنسية ، هذه الأخيرة التي فرضت نفسها وألحت على ضرورة حضور هذه الندوة ليس حبا في المغاربة وإنما حتى تقطع الطريق أمام أي محاولة تونسية لتدعيم الموقف الجزائري بين إخوانه المغاربة ، وهذا انطلاقا من تأكيداتها المستمرة والهادفة إلى فرض سياستها المبنية على الاقتراح الرامي إلى حل مشاكل منطقة المغرب العربي في إطار مغرب عربي فرنسي . [3]

---

[1]– الدكتورة مريم صغير : مرجع سابق ، ص 133 .

[2]– نفسه : ص 134 .

[3]– ابراهيم مياسي : " مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 – 1962 " ، دار هومه للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2007 ، ص 78 .

الموقف التونسي من حادثة اختطاف الطائرة :

في 22 أكتوبر عام 1956 عندما تعرض زعماء جبهة التحرير الوطني الجزائري الى عملية الاختطاف وهم قادمون من المغرب الأقصى في اتجاه تونس على متن الخطوط الجوية المغربية من طرف القوات الجوية الفرنسية ، تجلى رد فعل الحكومة التونسية في استدعاء سفيرها في العاصمة الفرنسية باريس واحتجت بشدة على العملية وطالبت بإطلاق سراح زعماء الثورة الجزائرية دون اي شرط ، وبالتالي كان موقفها هو تهديد السلطات الاستعمارية برفع القضية إلى محكمة العدل الدولية . كما عبر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة من جهته عن عملية الاختطاف ، أنها لا تخدم السلم بل تزيد في خطورة الأزمة الجزائرية الفرنسية ، وبالتالي تنعكس بالسلب على العلاقات بين حكومات المغرب العربي وفرنسا في حد ذاتها وهذا ما زاد الطين بلة في ابتعاد شمال إفريقيا العربي عن الأمن والهدوء ودفعته سياسة فرنسا داخل الجزائر إلى العنف أكثر مما كان عليه . [1]

وحتى الطبقة العمالية التونسية عبرت عن دعمها للشعب الجزائري و ثورته من خلال الدعوة التي وجهها للاتحاد العام التونسي للشغل الى الاتحاد العام للعمال الجزائريين لحضور اجتماع انعقد بمدينة سوسة في 11 نوفمبر 1956 ، وقد لب الجزائريون الدعوة حيث حضر الاجتماع مندوب الاتحاد العام للعمال الجزائريين .[2]

وكان الهدف من ذلك هو إبراز الاتحاد العام للعمال الجزائريين كقوة عمالية مغربية في إطار التنسيق مع الاتحاد المغربي كذلك ، قصد إيجاد السبل الناجعة لإشراك الوفد الجزائري في اجتماع بروكسل في 05 جويلية 1957 حتى يتمكن من عرض القضية الجزائرية على أعلى مستوى دولي .[3]

---

[1]– الدكتورة مريم صغير : مرجع سابق ، ص 134 .

[2]– بسام العسيلي : " الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية " ، دار الرائد ، الجزائر ، 2010 ، ص 111 .

[3]– بن سلطان و آخرون ، مرجع سابق ، ص 36 .

لقد رأت الحكومة التونسية أن الظروف التي تمر بها القضية الجزائرية تحتاج إلى دعم اكبر ، إذ بادرت من خلال وفدها لدى هيئة الأمم المتحدة بتقديم تقرير مفصل عن أوضاع الشعب الجزائري وما يعانيه جراء السياسة الفرنسية التعسفية المسلطة عليه ، حيث عبر عنها الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بالموت الذي يتعرض له الشعب الجزائري ، ووجه انتقاده للرأي العام العالمي الذي كان يندد بسياسة الاتحاد السوفياتي في المجر ونسي ما تقوم به فرنسا بالجزائر من جرائم تتنافى ومبادئ هيئة الأمم المتحدة ، وأكد على المطالبة بالاعتراف باستقلال الجزائر .

كما جاء تأكيد بورقيبة على أن استقلال الجزائر حقيقة وليست ضربا من الخيال ، وأنها جزء كامل لا يتجزأ من المغرب العربي في إطار وحدته العربية حيث قال : " إننا نريد تدعيم صفوفنا وان نجعل بهذا المغرب قوة لها وزنها بين الدول " . [1]

و في الوقت الذي أرادت فيه تونس دعم القضية الجزائرية من خلال إيجاد حل سلمي بين الجزائر وفرنسا ، كانت هذه الأخيرة تسعى إلى توظيف فكرة إيجاد حل لما سمته المشكل الجزائري عوض القضية الجزائرية من خلال دعوتها إلى تعاون مغربي عربي – فرنسي لكنه يدخل دائما في إطار الحفاظ على جزائر فرنسية وبمساعدة كل من تونس والمغرب الأقصى في حين أن هاتين الدولتين المغربيتين كانتا تبحثان عن حل سلمي في إطار فكرة المغرب العربي الموحد مع إيجاد صيغة تضمن لفرنسا مصالحها .

وهذا ما أكده الرئيس التونسي في جانفي 1957 بقوله : " إن أنجع طريقة لحل المشكل الجزائري هو خلق توازن بين سيادة الجزائر وبين التعاون الجديد الذي يربط دول المغرب العربي الثلاثة بفرنسا ، وتشكيل مجموعة فرنسية لشمال إفريقيا تتحصل منه فرنسا على تعاونها المثمر مع شعوب المغرب العربي " .[2]

---

[1]– بسام العسيلي : مرجع سابق ، ص 112 .

[2]– الدكتورة مريم صغير : مرجع سابق ، ص 135 .

لم ينحصر الموقف المعنوي التونسي للشعب الجزائري في التصريحات والمواقف الرسمية الحكومية فقط ، بل كان للصحافة التونسية دور هام في رفع معنويات الشعب الجزائري ففي هذا الصدد نشرت الجريدة التونسية " العمل" L'action " ، الصادرة باللغة الفرنسية استطلاعا صحفيا لأحد الفرنسيين الذين عايشوا أحداث الثورة الجزائرية عن قرب ، حيث قضى بالجبال الجزائرية خمسون يوما مع المجاهدين ومع أن هذا الاستطلاع منع من النشر داخل فرنسا إلا أن جريدة المقاومة * ، قامت من جهتها بنشره كاملا ، وذلك على مدى ثلاثة أعداد ، تناول مختلف أطوار حياة المجاهدين الاجتماعية ومعايشة العمل العسكري عن قرب كشاهد عيان ، كذلك الوضعية الاجتماعية للأهالي ، وحتى الوضعية المعنوية التي كان عليها الجيش الفرنسي عند مواجهته للمجاهدين في الجبال والقرى والمداشر و الأودية . [1]

ومن جهتها قامت صحيفة " الملاحظ " L'Observateur " ، ينشر تفاصيل عن إضراب الثمانية أيام كاملة ، وقد دعمت استطلاعها بالصورة الحية عن الأوضاع في الجزائر العاصمة ، كما نشرت بدورها صحيفة " العالم" Le Monde "" مقالا مطولا بعنوان " المدينة الصامتة " ، وذلك في اليوم الأول من إضراب الثمانية أيام وصفت فيه حالة مدينة الجزائر مركزة على مدى انتشار الإضراب ونجاحه بين صفوف الجزائريين وكذلك مواجهة القوات الفرنسية المدعمة بالمظليين للمضربين ، وحتى جريدة " الصباح " التونسية خصصت افتتاحيتها للأوضاع في الجزائر وفي نفس الصدد دعا الحزب الدستوري الحر التونسي ، والمنظمات العمالية إلى إضراب عام يوم 30 جانفي 1957 تضامنا مع الشعب الجزائري ودعما من اجل نصرة قضيته العادلة ، وقد كانت الاستجابة الشعبية للنداء كبيرة ،[2]

---

* جريدة المقاومة : جريدة جزائرية صدرت بالمغرب 1956 وهي تنطق بلسان الثورة التحريرية .

[1]– الدكتورة مريم صغير : مرجع سابق ، ص 136 .

[2]– نفسه ، ص 137 .

وهكذا توالى الدعم التونسي من خلال الموقف المعنوي للقضية الجزائرية ، من خلال تكثيف تونس لجهودها من اجل إيجاد حل عادل لها ، مستغلة في ذلك معاهدة التضامن والأخوة المبرمة مع المغرب الأقصى في مارس 1957 ، لكن رد الفعل الفرنسي كان سريعا ، وبعد اقل من شهرين عن هذه المعاهدة ، قطعت إعانتها على تونس ، وقامت بهجوم كاسح على أراضيها الحدودية مع الجزائر بحجة حق متابعة المجاهدين الجزائريين ، وهذا الضغط الفرنسي دفع تونس إلى طلب الوساطة بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا في نوفمبر 1957 ، ورغم قبول زعماء الثورة الجزائرية بالمقترح التونسي إلا أن فرنسا رفضت ذلك وقامت بعد ثلاثة أشهر فقط بهجوم جوي مدمر على قرية ساقية سيدي يوسف الحدودية .[1]

و ما زاد في تصلب المواقف الفرنسية وتعنتها ، تلك الخطابات الرسمية المعلنة من طرف الحكومة التونسية ، حيث وجه في هذا الصدد الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة خطابا إلى الشعب التونسي في افريل 1957 ، أكد فيه على أن تونس المستقلة تتألم من الحرب القاسية المعلنة ضد الشعب الجزائري الشقيق وتصرح بدورها أنها ستبذل كل ما في وسعها للإيجاد الحلول السلمية التي تضمن للشعب الجزائري حقوقه الوطنية [2] ، وأكد على أن مشاكل الجزائر هي مشاكل تونس التي سيبقى استقلالها منقوصا ومهددا ما لم تستقل الجزائر ولذلك فان الحكومة التونسية وشعبها يؤيدان هذا الاستقلال ، ولا سبيل لتعاون جدي ونزيه بين تونس ما دامت الجزائر تئن تحت وطئة الاستعمار الفرنسي ، وإذا اعترفت فرنسا بحق الشعب الجزائري في السيادة والاستقلال ، فإن التعاون يصبح ميسورا .[3]

---

[1]– الدكتورة مريم صغير : مرجع سابق ، ص 137 .

[2]– نفسه ، ص 138 .

[3]– اسماعيل دبش ، مرجع سابق ، ص 76 .

2/الدعم التونسي المادي :

كانت تونس البوابة الشرقية للثورة الجزائرية في دخول الأسلحة والمؤونة الحربية إليها ، وقد أكد العديد من المجاهدين على * أن الحدود التونسية – الجزائرية كانت من أهم معابر المجاهدين ونقل الأسلحة القادمة من ليبيا ومصر الشقيقتين ، ومنذ إندلاع الثورة الجزائرية لم تجعل تونس حكومة وشعبا فرقا بين ترابها والتراب الجزائري حيث إلى ترابها لجأ الجزائريون الذين اضطهدهم الاستعمار ،وفي عام 1957 تم إنشاء قاعدة عسكرية لجيش التحرير الوطني في المنطقة حيث ارتكز الدعم المادي بالنسبة للحكومة التونسية على فتح حدودها للثورة الجزائرية ، إلى جانب مراكز تجميع الأسلحة ، لكن الملفت للانتباه هو أن مجاهدي المناطق الشرقية أكدوا من جهتهم أن الحكومة التونسية كانت تأخذ ما يعادل 10 بالمائة من الأسلحة الجزائرية المهربة عبر حدودها ، وقد يكون سبب ذلك راجع إلى الفاقة التي كانت عليها تونس آنذاك .[1]

لقد تم عقد العديد من اللقاءات الثنائية بين الطرف الجزائري والتونسي حول موضوع دعم الثورة التحريرية والبحث عن سبل إنجاح العملية[2] ، ومن أهم هذه اللقاءات لقاء القاهرة الذي جمع الأستاذ " احمد توفيق المدني " عن الطرف الجزائري و السيد " الباهي لدغم " عن الطرف التونسي ، وقد توج اللقاء باتفاق يتعلق بنقل الأسلحة فقط .[3]

وفي الوقت نفسه عارض السيد " صالح بن يوسف " ورجاله سياسة بورقيبة تجاه الثورة الجزائرية معتبرين استقلال تونس ناقصا ما لم تستقل الجزائر ، وهي القضية التي خلقت شقاقا بين الرجلين في تونس ، خاصة وان صالح بن يوسف رفض التخلي عن مقاومة الاحتلال الفرنسي بالسلاح بل وضع رجاله تحت تصرف الثورة الجزائرية ، وقد استاءت الحكومة التونسية برئاسة بورقيبة من تدخلات هذا الأخير خاصة فيما يخص نقل الأسلحة من مصر إلى الجزائر مرورا بتونس .[4]

---

* أنظر كتاب : مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة : " شاهد على اغتيال الثورة " ص 38 .

[1] – وهيبة سعيدي : مرجع سابق ص 71 .

[2] – الدكتورة مريم صغير : مرجع سابق ص 146.

[3] – نفسه ، ص 147 .

[4] – ابراهيم مياسي : " لمحات من جهاد الشعب الجزائري " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 ، ص 58 .

كانت نتيجة لقاء القاهرة هي توقيع اتفاق ثنائي جزائري تونسي في 22 جانفي 1957 مثل الجزائر كل من السادة احمد توفيق المدني و الأمين دباغين ، ومثل تونس كل من السادة الصادق مقدم والطيب سليم ، وأمضو اتفاق سموه " اتفاق مسلم " أي " م " رمز للمدني ، و " س " لسليم ، " ل " للأمين دباغين وقد جاء فيه ما يلي :

1- تتعهد الحكومة التونسية بنقل الأسلحة الجزائرية التي تصلها عبر الحدود من ممثلي جبهة التحرير الوطني وتتعهد بتسليمها لمن تعينه الجبهة لهذه المهمة.

2-تكون اللجنة التي تشرف على العملية تحت حراسة وضمان هيئة مشتركة مؤلفة من ممثلين عن الديوان السياسي التونسي وممثلين عن جبهة التحرير الوطني الجزائرية .

3-تتعهد الهيئة المشتركة بان لن تتسرب إلى البلاد التونسية قطعة من السلاح أو أي جزء من الذخيرة المخصصة للجزائر

4-المسائل المتعلقة بتنفيذ هذا الاتفاق بصفة سريعة عملية تتولاها اللجنة المشتركة . [1]

5-تبدأ اللجنة أعمالها حالة مصادقة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة على هذا النص النهائي بعد رجوع الوفد التونسي من القاهرة إلى العاصمة التونسية .[2]

لقد تجسد الدعم الشعبي التونسي للثورة الجزائرية في ميادين متنوعة ومنها تطوع العشرات من الشبان التونسيين في صفوف جيش التحرير الوطني وقد بدأ هذا مع نهاية عام 1955 وبداية عام 1956 ، حيث انه عدداً لا بأس به من الثوار التونسيين فضلوا الالتحاق بالجبال والجهاد الى جانب اخوانهم الجزائريين ، وهذا دليل على ان كفاح بين الشعبين الجزائري والتونسي كفاح واحد ، وعلى إثر هذا الكفاح سقط منهم العديد في ميدان الشرف ، حيث يقدر عددهم بحوالي : 5000 شهيد و 1200 مناضل مسجون ، في هذا الإطار تذكر الأستاذة والمؤرخة " عميرة علية الصغير " في دراسة لها تحت عنوان : " التونسيون والثورة الجزائرية 1954 / 1958 " بقولها : **كان هؤلاء المتطوعون التونسيون يلتحقون بصفوف جيش التحرير الوطني عبر الحدود التونسية – الجزائرية موزعين على جمعات صغيرة ويمرون عبر ممرات محددة كساقية سيدي يوسف .**[3]

---

[1] – وهيبة سعيدي : مرجع سابق ص 74 .

[2] – الدكتورة مريم صغير : مرجع سابق ص 153 .

[3] – نجاة بن يحوب : مرجع سابق ، ص 32 .

و من أشكال التضامن أو الدعم الشعبي التونسي للثورة الجزائرية تلك المساهمات والمساعدات المالية والعينية ، تجلى ذلك في جمع الأموال في شكل ضرائب لصالح الثورة وفرض رسوم شهرية على التجار ، وقد كان للتجار التونسيين دور في الثورة الجزائرية سواء في الداخل أو الخارج وعلى سبيل المثال التاجر التونسي المهاجر في باريس المعروف ب " محمد المالك حسين " تعرض لمضايقات ثم بعد ذلك تم سجنه ، نتيجة لمساهمته المالية للثورة الجزائرية.

لقد كانت التبرعات المقدمة للثورة الجزائرية تصل إلى الجزائر بشكل منظم ، فقد نظم في تونس أسبوع الجزائر بمناسبة غرة نوفمبر 1954 ، وفيه ظهر تضامن الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية ، فلم يبخل التونسيون على الثورة الجزائرية لا بالمال ولا بالمأكل ولا بالملبس ... ، من خلال استضافة أعداد هائلة من عائلات الجزائريين الفارين من القمع الاستعماري ، وتجسد هذا بعد استقلال تونس ، بحيث أنهم كانوا يستقبلون اللاجئين ويتكفلون بالأيتام ، ويذكر أن عدد اللاجئين بلغ في سنة 1957 حوالي مائتان وخمسون ألف لاجئ (250.000) من بينهم أربعن ألف يتيم (40.000) و للتكفل بهم شكلت لجنة تونسية للدفاع عنهم تظم مجموعة من الشيوخ من بينهم الشيخ " محمد جعيط " وفتي الديار التونسية رئيساً .[1]

وقد ذكر الرائد "عثمان السعدي بن الحاج " في مذكراته عن الدعم التونسي يقول :...كانت فرق جيش التحرير الوطني العاملة في الحدود التونسية الجزائرية تنتقل بسهولة في وسط القرى والمداشر التونسية الواقعة على الحدود التونسية – الجزائرية وكانت تتلقى من الأهالي الدعم الكامل تموينا وإيواءً ... .

فضلاً عما ذكره ، فقد مثلت التظاهرات والإضرابات المسيرة من طرف المنظمات و الهيئات الشعبية والنقابية دوراً كبيراً في دعم الثورة الجزائرية ، فمن خلال المظاهرات التي خرج فيها التونسيون تضامناً مع الثورة إثر اختطاف الطائرة المقلة للوفد الخارجي من طرف الاستعمار الفرنسي يوم 22 اكتوبر 1956 وقعت مصادمات بين الجيش الفرنسي [2] والتونسيين الذين أقاموا السدود على الطرقات

---

[1] – نجاة بن يحوب : مرجع سابق ص 33 .

[2] – ابراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص 62 .

لشل تحركات العسكريين الفرنسيين ، وعلى إثر ذلك نشب تبادل لإطلاق النار أسفر عن جرح ستة (6) أشخاص تونسيين ومقتل جندي فرنسي وجرح ثلاثة (3) اخرين.[1]

ولقد تغيرت أشكال التضامن بعد هذه السنة أي منذ عام 1956 بحيث أصبحت مجسدة في الإضرابات والتظاهرات والمسيرات السلمية ، فبعد موقف الأمم المتحدة لما عرضت القضية الجزائرية لأول مرة ، ونتيجة لعدم اكتراث هذه الأخيرة بالقضية ، نجد أن الشعب التونسي قد استجاب للنداء الذي دعى إليه الحزب الدستوري الحر وبعض المنظمات في يوم 30 جانفي 1957 بالتظاهر والاحتجاج .

كما وانه في 16 سبتمبر 1958 نظمت جامعة تونس للحزب الدستوري الحر تجمعاً جماهيرياً حضره آلاف التونسيين والجزائريين ، وهذا للرد على مشروع الاستفتاء الذي طرحه على الجزائريين ، وقد طالبوا بضرورة إيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية ، أما عن دور المنظمات والهيئات الشعبية والنقابية فقد ساهمت في تعبئة جماهير الشعب التونسي لمساندة المطالب الجزائرية وإسماع قضيتها في المحافل الإقليمية والدولية .

وفي هذا الإطار نجد أن الطبقة العمالية التونسية قد عبرت فعلاً عن دعمها للشعب الجزائري وثورته ، وهذا من خلال الدعوة التي وجهها الاتحاد العام التونسي للشغل إلى الاتحاد العام للعمال الجزائريين قصد حضوره الاجتماع المنعقد في مدينة سوسة بتونس في 11 نوفمبر 1956 ، الذي كان الهدف منه إبراز الاتحاد العام للعمال الجزائري كقوة عمالية مغاربية ، بغرض إيجاد طريقة لإشراك الوفد الجزائري في اجتماع بروكسل في 5 جويلية 1957 لإيصال القضية الجزائرية إلى المحافل الدولية .

فضلاً عن ذلك ، فقد كان التعاون والتنسيق وثيقاً بين نقابتي الاتحاد العام التونسي للصناعة والتجارة والاتحاد العام الجزائري للصناعة والتجارة الذي تأسس في 14 سبتمبر 1956 وقد قام الاتحاد العام التونسي للعمال بدوره في مساندة الثورة الجزائرية خاصة مجهودات " احمد بن صالح " و هو أمينه العام الذي كان عضوا في المنظمة العالمية للشغل لما تم قبول الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الاتحاد الدولي للنقابيين الأحرار .[2]

---

[1]– الفضيل الورتلاني ، مصدر سابق ، ص 222 .

[2] – نجاة بن يحوب : مرجع سابق ص 35 .

3/ الضغوط الفرنسية على تونس:

إن الإدارة الفرنسية التي راهنت على بورقيبة كانت تعتقد أنه سيمضي في الوقوف إلى صفها الى ابعد الحدود ، ويمنع وصول الأسلحة إلى الثوار الجزائريين ويضع حدا لنشاطهم في تونس ، لكن بورقيبة اظهر امتعاضا من السياسة الفرنسية وجاهر بذلك لمجرد تحسن علاقاته مع جبهة التحرير الوطني ، وعليه خططت الإدارة الفرنسية لإيجاد هوة بين النظام التونسي وقيادة الثورة الجزائرية ، وذلك بتحميل الثوار الجزائريين المسؤولية عن اعتداءات القوات الفرنسية على المناطق التونسية ، وإبراز عجز السلطات التونسية عن حماية مواطنيها ، واثبات أن سيادتها منتهكة من قبل الجزائريين قبل أن تنتهكها القوات الفرنسية ، وأنها تقوم بحماية السكان التونسيين من الخارجين عن القانون . [1]

ولم يقتصر الأمر على التهديد العسكري المباشر بل وضعت مخططات بإشراك المعمرين المتعصبين لبث الفوضى وإثارة الاضطراب ونسبته إلى الجزائريين المعارضين للتوجه البورقيبي وقد أُكتشفت في ماي 1956 مجموعة إرهابية مأجورة لليد الحمراء في تونس ، وقد نجحت ضغوط أنصار الاستعمار القديم في إرغام السلطات الفرنسية لتشديد الخناق على تونس ، وقطع المعونات الاقتصادية والتقنية ، فأمر غي مولي بتعليق الإعانة الخاصة بتجهيز الدولة التونسية والمقدرة بأربعة عشر مليار فرنك وأعلن سفير فرنسا في تونس أن الإجراء اتخذ بسبب موقف بورقيبة من المشكلة الجزائرية ، وبذلك نجحت مساعي المعمرين والعسكريين في الضغط على السلطات الفرنسية وتكريس خيار معاداة الاستقلال التونسي ، وبدأ لهذه الأوساط اليمينية أنها وجهت ضربة قاضية للتصرفات التونسية التي تخدم الثوار الجزائريين ، وأنها بذلك تمنع وصول الأسلحة للجزائريين وعلى الرغم من حاجة الحكومة التونسية لهذه المعونة وتشابك العلاقات التونسية الفرنسية ، فقد أعلن بورقيبة انه لا يقبل بأي معونة فرنسية مشروطة حيث قال : " ... أنني أصرح بصفتي رئيس حكومة أننا لسنا بحاجة إلى تلك القروض إذ أُريد استعمالها كوسيلة ضغط علينا... " [2]

---

[1] – عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 292 .

[2] – نفسه ، ص 293 .

و أعلن بورقيبة ولائه للغرب واعتماده على الولايات المتحدة الأمريكية لتسليح بلاده ، وبلغة التهديد والتشفي كان يأمل في أن تلعب هذه الدولة دورها الرئيسي في إعانة السياسة البورقيبية ، سواء تعلق الأمر بالإعانة الاقتصادية أو بالوساطة في القضية الجزائرية ، وقد سمحت فترة فتور العلاقات مع فرنسا لبورقيبة من الإعراب عن استيائه العميق من السياسة الفرنسية وما ترتكبه من حماقات .[1]

وقد خيمت تبعات حرب الجزائر على العلاقات التونسية الفرنسية ، وعاشت مناطق الحدود التونسية الجزائرية الحرب بكل ويلاتها ، وتعرض سكانها للقتل والاضطهاد والتهجير ، واضطر سكان المناطق الشرقية الجزائرية اللجوء إلى التراب التونسي هروبا من تهديدات الجيش الفرنسي الذي كان يخطط لتهجير مناطق الحدود من سكانها وقطع الإعانة التونسية عن ثوار الجزائر ، ومن اجل ذلك سنت قيادة الجيش الفرنسي مبدأ "حق المتابعة " داخل التراب التونسي ، وهو قرار زاد في تردي العلاقات التونسية الفرنسية ، إذ ضبطت تعليمات الجيش الفرنسي حق المتابعة في حالتين هما : الرد على أي هجوم للعناصر المتمردة ينطلق من البلاد التونسية ويوجه ضد القوات الفرنسية في الجزائر ، ومتابعة العمليات العسكرية التي يشرع فيها بالجزائر ويلجأ خلالها الثوار إلى البلاد التونسية ، كانت كل الدلائل تشير إلى أن القوات الفرنسية الموجودة في الجزائر وتونس تقوم بحملة مشتركة لتطهير مناطق الحدود واضطهاد السكان العزل ، وأنها تعتدي على القوانين الدولية وتنتهك السيادة التونسية ، وبالرغم من حجم الترسانة العسكرية المجندة لهذه المهمة فإن رد فعل السكان أكد على الصمود ونصرة الثوار واللاجئين الجزائريين ، وبدورها تحملت السلطات التونسية الانتهاكات الفرنسية ، وواجهت فرق جيش التحرير الجزائري هذا الوضع بكثير من رباطة الجأش ، وخلال الأسبوع الأخير من ماي 1957 عرفت الاعتداءات الفرنسية حدثا مهما إذ لجأت السلطات التونسية إلى محاصرة فوج من القوات الفرنسية وحجز أفراد ببلدة " عين الدراهم " ، وقيل أن ذلك تم بمساعدة فرقة من جيش التحرير الوطني المتمركزة بأولاد مسلم ، فكان رد فعل الجيش الفرنسي عنيفا ، إذ حاصر منطقتي "أولاد مسلم " و " المخابرية " وشن عمليات تمشيط وحرق وإرهاب للسكان التونسيين والجزائريين الذين لجئوا حديثا للمنطقة .[2]

---

[1] – عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 293 .

[2] – نفسه ، ص 294 .

وكان يهدف إلى تطويق التونسيين ومنع إعانتهم للثوار للجزائريين وإلى إرجاع اللاجئين الجزائريين إلى الجزائر حتى لا يكونوا دروعا للثوار ، وقد قررت تونس إرسال قوات عسكرية لنجدة السكان "بأولاد مسلم " و " المخابرية " ، واعترضت القوات الفرنسية مرور الموكب التونسي في منطقة " المريج " ، وأثناء المفاوضات وقع إطلاق نار أدى إلى مقتل سبعة تونسيين وجرح أربعة آخرين ، كان من بينهم خميس الحجري الذي جاء ليحقق في قضية اللاجئين قبل سفره إلى جنيف .

وقد تجنبت السلطات التونسية تصعيد الموقف لكنها قررت استغلال الحادثة سياسيا وقدمت احتجاجات رسمية إلى وزارة الخارجية الفرنسية والى مجلس الدول الأمن ، وأعلن بورقيبة في خطاب شديد اللهجة عن قرار حكومته منع تنقل القوات الفرنسية دون إذن مسبق من السلطات التونسية وضرورة جلاء القوات الفرنسية و أبقى بذلك الباب مفتوحا أمام انفراج العلاقات التونسية الفرنسية ، ولم يشفي غليل الجماهير الناقمة على تكرار هذه الاعتداءات ، كما انه لم يستجب لرغبة جيش التحرير الجزائري في التصدي للقوات الفرنسية المعتدية ، وذلك درءا لتهمة محاربة جيش التحرير للجيش الفرنسي داخل الأراضي التونسية ، تجنبا لاتساع رقعة المعارك التي لم تكن خلال هذه المرحلة تخدم بورقيبة . [1]

في جويلية 1957 قبلت السلطات الفرنسية بجلاء جزئي عن بعض المناطق التونسية ، وجه بورقيبة في خطابه الأسبوعي رسالة إلى عسكريي الجزائر حملهم فيها مسؤولية توتر العلاقات بين تونس و فرنسا ، مؤكدا لهم أن ملاحقتهم للثوار الجزائريين داخل التراب التونسي يضع استقلال تونس في مهب الريح ، وعبر بورقيبة عن استعداده للتوسط في المشكلة الجزائرية ، و أمله في إنشاء منظومة تعاون فرنسية – شمال افريقية ، وسجلت هذه السياسة التونسية تحفظ جبهة التحرير الوطني ، لكن بورقيبة عرف كيف يحافظ على الموقف بإعرابه عن الاستمرار في دعم الثورة الجزائرية سريا وبشكل جدي ، و كان يأمل في أن ينال منها موافقة غير مشروطة على مشروع الوساطة .[2]

---

[1] – عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 294 .

[2] – عمار بن سلطان وآخرون ، مرجع سابق ، ص 56.

لكن استمرار اعتداءات عسكريي الجزائر على التراب التونسي وبوتيرة أكبر منذ سبتمبر 1957 أعاد تونس إلى حالة اللا إستقرار والتذمر الشعبي ، وأعلن بورقيبة أمام رفض فرنسا تزويد بلاده بالأسلحة أن تونس ستكون مضطرة لمراجعة موقفها من الغرب وأراد بورقيبة أن يعوض المساعدة الفرنسية بمساعدات الغرب مستغلا صراع الحرب الباردة وكان يأمل في المساعدة الأمريكية وهو يؤمن بأن مستقبل تونس لا يقوم إلا في أحضان الغرب . [1]

وإضافة إلى خطة حق المتابعة طالبت السلطات الفرنسية بإقامة منطقة حدودية محايدة تفصل الجزائر عن تونس تراقبها قوات مشتركة تونسية و فرنسية ، ويبدوا أن الفشل العسكري في قطع التضامن التونسي دفع إلى مثل هذه المناورات الهادفة إلى منع نشاط الثوار بهذه المناطق ووضع حد للمساعدات التونسية و قد أتت ضغوط عسكريي الجزائر على الحكومة الفرنسية ثمارها إذ شدد رئيس الحكومة أمام المجلس الوطني الفرنسي مهدداً و متوعداً تونس حيث صرح : ...ستعمل الحكومة الفرنسية بجميع الوسائل اللازمة لإنهاء الإعانة التي تمنحها تونس للجزائريين يجب أن يفهم السيد بورقيبة بأنه يُعرض الصداقة التونسية الفرنسية إلى الخطر ، و يعرض أيضا إمكانية خروج بلاده من صعوباتها المالية ، وأرسلت الوزارة الخارجية الفرنسية إلى الحكومة التونسية مُذكرة احتجاج تتهم فيها تونس بالوقوف إلى جانب الثوار الفرنسيين ، ومن جهتها أوضحت السلطات التونسية أن السياسة الفرنسية المنتهجة في حل المشكلة الجزائية ستزيد الوضع تعفنا ، و أن الاعتداءات التي تطال المدنيين التونسيين و الجزائريين تعد انتهاكا للسيادة التونسية ولا يمكن لتونس أن تقبل بإقامة منطقة حدودية معزولة و محروسة بأي شكل من الأشكال لأن ذلك لن يكون في صالح الجزائريين ولا يحل المشكلة الجزائرية . [2]

---

[1]– عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 295 .

[2] – نفسه ، ص 296 .

لقد ازدادت العلاقات تأزما بعدما قام سلاح الجو الفرنسي بالجزائر بقصف المدنيين في قرية ساقية سيدي يوسف شهر فيفري 1958. بحجة ملاحقة فرق جيش التحرير الوطني في الأراضي التونسية وكان رد فعل السلطات لتونسية ان قامت بطرد 5 قناصل فرنسيين من أهم المدن لتونسية وضرب حصار على الثكنات العسكرية الفرنسية بتونس ، وأصبح التونسيون يطرحون بإلحاح موضوع تصفية القواعد العسكرية الفرنسية بالأراضي التونسية. [1]

إن تسارع الأحداث عقب أزمة ساقية سيدي يوسف التي زادت في تأزم العلاقات بين تونس وفرنسا أدى إلى تدخل مجلس الأمن الذي قرر إرسال وفد انجليزي – أمريكي برئاسة السيدان ميرفيMURPHY و بيلي BEELY لإعادة العلاقات بين فرنسا و تونس ، وتم تسوية الأزمة بين البلدين بعد وصول الجنرال ديغول إلى الحكم في 1 جوان 1958 الذي أنهى الأزمة وفق مقترحات التسوية المقدمة من طرف أصحاب المساعي –الأمريكان والانجليز .[2]

---

[1] – عبد الله مقلاتي : مرجع سابق ، ص 296 .

[2] – نفسه ، ص 297 .

ملخص الفصل الثاني :

إن الحديث عن تونس و علاقتها مع الجزائر في الفترة الممتدة من سنة 1954 إلى 1958 يجعلنا نلاحظ بأن أوضاعها كانت متباينة حيث بروز المعارضة الداخلية من جهة و حتمية دعم الثورة الجزائرية و هذا لعدة اعتبارات دينية ، قومية إقليمية ... ، أما المعارضة فتظهر من خلال انقسام حزب الدستور الجديد – الذي أسسه الحبيب بورقيبة – إلى تيارين متصارعين أحدهما ممثل بالاتجاه الاستقلالي المنادي للاستقلال التام و وحدة الكفاح في المغرب العربي و يمثله صالح بن يوسف و الاتجاه الثاني يمثله الحبين بورقيبة الذي قبل بمفاوضات 03 جوان 1955 ، التي طلبت من الحزب أن يوجه تعليمات للثوار بتسليم أسلحتهم و الرجوع إلى الحياة المدنية ، هذا العمل الذي قام به الحزب ، اعتبره صالح بن يوسف تنازلا يجعل تونس تفاوض من مركز ضعيف ، ثم إن علاقات تونس الخارجية مع البلاد العربية خاصة مصر التي تأثرت بما كان يجري من أحداث داخل تونس لتصل إلى درجة التأزم بعدما أقدمت مصر على احتضان المعارضة التونسية و تقديم المساندة لها في صراعها ضد النظام البورقيبي .. ، و قد عرفت العلاقات الجزائرية التونسية تأزما خاصة من خلال توقيع فرنسا مع تونس اتفاقية تمرير أنبوب بترول من منطقة إيجلي في جوان 1958 .

رغم هذه الظروف و الأزمات التونسية إلا أن الدعم التونسي للثورة الجزائرية كان متعددا فتونس كانت مركز أساسي للجزائريين الهاربين من السياسة الاستعمارية ، إضافة إلى دور الشعب التونسي الهام في هذا الدعم المادي و المعنوي .

و من الاتفاقيات التي ظهر من خلالها الدعم التونسي نذكر الاتفاق الجزائري التونسي في 22 جانفي 1957 الذي تعهدت فيه تونس بتنظيم ونقل الأسلحة إلى الجزائر .

لقد قابلت فرنسا هذا الدعم من طرف فرنسا بسياسات متعددة أبرزها " حق التتبع " الذي من خلاله سعت فرنسا إلى متابعة نشاط الثوار الجزائريين على الحدود التونسية الجزائرية .

الفصل الثالث :

أحداث ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958

الفصل الثالث : أحداث ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958 .

المبحث الأول : أسباب القصف :

1 / موقع ساقية سيدي يوسف .

2 / الاسباب غير المباشرة للقصف .

أ / – داخليا .

ب / – خارجيا .

ج / – الأوضاع السياسية في فرنسا و أثرها .

3 / الاسباب المباشرة للهجوم .

أ / – معركة جبل واسطة .

ب / – انعكاسات المعركة .

المبحث الثاني : قصف ساقية سيدي يوسف و تداعياته العامة .

1 / تفاصيل الحدث و نتائجه العامة .

2 / ردود الفعل الأولية على الحدث .

– إقليمية و مغاربية .

أ / – الموقف التونسي .

ب / – الموقف الجزائري .

ج / – الموقف الليبي .

– خارجيا .

أ / – التبريرات الفرنسية على أحداث القصف .

ب / – تونس ترفع القضية إلى مجلس الأمن .

3 / الأزمة التونسية الفرنسية و مشكلة الوساطة الأمريكية الانجليزية

الفصل الثالث : أحداث ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958 :

المبحث الأول : أسباب القصف :

1/ موقع ساقية سيدي يوسف :

تقع ساقية سيدي يوسف على الحدود الجزائرية التونسية ، على الطريق المؤدي من مدينة " سوق أهراس " بالجزائر إلى مدينة " الكاف " بتونس وهي قريبة جداً من مدينة " لحدادة " الجزائرية التابعة إداريا لولاية " سوق أهراس " ، وبذلك شكلت منطقة إستراتيجية لوحدات جيش التحرير الوطني المتواجد على الحدود الشرقية في استخدامها كقاعدة خلفية للعلاج و استقبال المعطوبين .[1]

2/ الأسباب غير المباشرة للقصف :

أ / داخلياً :

يذكر الدكتور عبد المجيد عمراني في كتابه جان بول سارتر والثورة الجزائرية : ...أنه عندما خسر جيش التحرير الوطني عدة معارك حربية و فقد أعز رجاله في تحديهم لخرق الأسلاك المكهربة (خط موريس) ، قررت قيادة جبهة التحرير بناء قاعدة عسكرية في ساقية سيدي يوسف بالحدود التونسية الجزائرية لتدعيم الثورة في الجزائر و شن هجماتهم العسكرية المتمثلة في الكر و الفر [*] على المؤسسات العسكرية الفرنسية داخل الجزائر ، وفعلاً لقد قاموا بعدة عمليات ناجحة و أسقطوا عدة طائرات و خاصة الطائرات الاستطلاعية (أي طائرات الكشافة) ، وهاجموا عدة ثكنات عسكرية مما جعل القوات العسكرية الفرنسية تعترف بهذه العمليات المتتالية وتغير إستراتيجيتها تجاه الثورة الجزائرية و تطالب من الدول الغربية مساعدتها سياسياً وعسكرياً ، وما بين 1957 و 1958 لاحقت القوات الفرنسية مجاهدي الثورة التحريرية داخل التراب التونسي ، و أدت تلك العمليات إلى خسائر معتبرة في الأرواح .

و نتيجة لذلك حذر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الجيش الفرنسي من مطاردة جيش التحرير الوطني داخل بلاده و أن تبقى المعارك الحربية خارج وطنه [2] ، بينما الحكومة الفرنسية

---

[1] – رابح لونيسي و آخرون : " تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989 " ، دار المعرفة ، الجزائر ، ص 279 .

[*] يقصد من ذلك أن هذه القواعد العسكرية كانت تتجنب المواجهة المباشرة مع العدو والاعتماد على الهجمات المباغتة و استغلال صعوبة التضاريس في الهروب منه .

[2] - د.عبد المجيد عمراني : " جون بول سارتر والثورة الجزائرية 1954 – 1962 " ، دار الهدى ، الجزائر ، 2010 ، ص 89 .

حذرت من جانبها الحكومة التونسية عدة مرات أن تبقى على الحياد ، وان تكف عن مساندتها للثورة الجزائرية ، وفي صباح يوم الأحد 08 فيفري 1958 قامت بهجوماتها على الساقية .[1]

ب / **خارجياً** :

يذكر الدكتور يحي بوعزيز في كتابه موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب : ... مر عام 1956 دون أن يتمكن جيش الاحتلال من النيل من قوة الثورة و تطورها و زحفها إلى الأمام ، وفي عام 1957 أصبحت هذه الثورة عالمية ، تخطت الحصار المفروض عليها ، وحطمت كل الحواجز التي و ضعها الاستعمار حولها و أمامها ، و كانت تونس و المغرب الأقصى من القواعد الهامة جداً للثورة [2] ، حيث تمركزت بها قوات جيش التحرير الوطني و أتخذ لنفسه فيها قواعد ضخمة ومهمة للتموين والتدريب و الاستعداد ، و تحمل هذان البلدان الشقيقان أرضا و شعباً مشاق ومتاعب ومصائب كبرى لا تقل عن ما يعانيه الشعب الجزائري نفسه ، و تحملا عن رضى و طواعية كل أهوال الحرب ومصائبها و تعرضا للمزيد من القمع و الإرهاب والتخريب و لا يمكن لأحد أن ينكر أبدا فضل هذين البلدين و كرمهما و صمودهما أمام كل الأخطار و المصائب من اجل نصرة ثورة الجزائر و شعبها المكافح و المجاهد ، رغم الصعاب و العقبات التي كانت تظهر من الحين إلى الأخر ، خاصة في الميدان السياسي.

و نتيجة لأهمية هذين البلدين بالنسبة للثورة ، وسيرها و تطورها ، فقد دأب جيش الاحتلال الاستعماري على التحرش بهما ، خاصة تونس التي كانت مطاراتها في ذلك الوقت ماتزال تحت سيطرته ، ومنها قاعدة بنزرت ، وفي شهر سبتمبر 1957 م ، أمر وزير التراب الفرنسي " أندري موريس " قواته الاستعمارية بملاحقة الثوار الجزائريين إلى داخل التراب التونسي ، بحجة ما سماه " حق التتبع " ، وكان ذلك اعتداءا صارخا على سيادة تونس الوطنية ، فحصلت حوادث كثيرة في منطقة الحدود ، أثارت أزمة حادة بين تونس و فرنسا ، و تدهورت العلاقات بينهما إلى أبعد حد . [3]

و في نفس الشهر ، انتهى الجيش الفرنسي من إقامة خط الأسلاك الشائكة المكهربة المعروفة باسم " مقترح أندري موريس " ، وقد بدأ في مده أواخر 1956 م [4]، من أجل خنق الثورة ومنع وصول

---

[1]– عبد المجيد عمراني : مصدر سابق ، ص 90 .

[2] – يحي بوعزيز : مصدر سابق ، ص 518 .

[3]– نفسه ، ص 519 .

[4] – سعدي بزيان : " جرائم فرنسا في الجزائر " ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 ، ص 95 .

الإمدادات إليها ، و يمتد من شاطئ البحر شمال شرق مدينة عنابة إلى جنوب مدينة تبسة على مشارف الصحراء ، و يتراوح عرضه بين ستة واثني عشر متر حسب طبيعة المناطق .

مع ذلك لم يمنع هذا الحاجز المكهرب الثورة من التزود بالمُؤن والذخائر والأسلحة ، ولو انه في البداية أحدث عدة مصاعب ، وفي نهاية عام 1957 م ، برزت مشكلة الحدود على أشدها بين جيش الاحتلال و فرنسا من جهة ، و البلدين الشقيقين تونس و المغرب الأقصى من جهة أخرى ، و صممت السلطات الاستعمارية على استغلالها إلى أبعد حد ، لإرغام حكومتي تونس و المغرب الأقصى على الخضوع لأهداف الاستعمار و الوقوف على الحياد على الأقل ، لإتاحة الفرصة للعدو ليقضي على الثورة بسهولة حسبما يشاء ، و لكن الثورة كانت يقظة و متبصرة أكثر منه ، واستطاعت أن تفوت عليه كل الفرص ، و تحطم أحلامه و آماله على صخرة النضال الصارم و المستميت .

و في مطلع عام 1958 كشف الاستعمار الفرنسي جهوده وتحرشاته فيما أسماه حوادث الحدود ، وأخذت القوات الاستعمارية تتحرش ضد البلاد التونسية بدعوى ممارسة حق التتبع للخارجين عن القانون في الأرض التونسية ، و وفقا لهذه الخطة أعلن روبير لاكوست في مدينة قسنطينة في مطلع شهر فيفري ، بأن فرنسا ستنتصر في معركة الحدود ، و كان ذلك علامة لما كان يُبيته لقرية ساقية سيدي يوسف .[1]

ج/- الأوضاع السياسية في فرنسا وأثرها 1957 - 1958 :

بعد انهيار حكومة غي مولي * جاءت حكومة بورجيس مونوري التي هي عبارة عن استمرارية للحكومة السابقة ، و التغيير الأساسي الذي حصل هو انتقال بورجيس مونوري من وزارة الدفاع إلى رئاسة الحكومة وتعيين أندري موريس وزير للدفاع أما لاكوست فقد حافظ على منصبه كوزير مكلف بالشؤون الجزائرية في الحكومة الفرنسية ، و كما هو معروف ، فان هذه الشخصيات الثلاثة هي التي كانت تمثل الاتجاهات المؤيدة للأوروبيين في الجزائر و هي التي كانت تتزعم فكرة بقاء الجزائر فرنسية ، ومنذ البداية التزمت حكومة بورجيس بعدم التفاوض مع جبهة التحرير [2]، و تعهدت بالقضاء على الثوار الذين يهددون وحدة فرنسا و فصل الجزائر عنها ، و وعدت هذه الحكومة الأوربيين في

---

* لقد تسببت الثورة الجزائرية في إسقاط أربعة حكومات فرنسية بداية من حكومة منديس فرانس حتى حكومة فليكس غايار في 15 أفريل 1958 وهذا ما أدى إلى اضطرابات 13 ماي و مجيء ديغول إلى الحكم .

[1] – يحي بوعزيز : مصدر سابق ، ص 520

[2] – عمار بوحوش : " التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 " ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص 425 .

الجزائر بعدم قيام سلطة تشريعية في الجزائر تكون فيها الأغلبية للمسلمين ، بناءا على هذه التعهدات نالت هذه الحكومة ثقة البرلمان الفرنسي يوم 12 جوان 1957 ب 240 صوت مقابل 194 .[1]

لكن هذه الحكومة اليمينية التي كانت تعمل بقصد إدخال إصلاحات سياسية تستجيب لرغبات المستوطنين سقطت يوم 30 سبتمبر 1957 بسبب اقتراحها تغيير نظام الحكم في الجزائر بإقامة برلمان محلي يعمل في إطار السيادة الفرنسية ، ونتيجة لوقوف الأوربيين في الجزائر ضد حكومة باريس و القيام بمظاهرات ضدها بسبب الإصلاحات المقترحة للجزائر.[2]

حاول قادة الأحزاب السياسية التفاهم فيما بينهم وتشكيل حكومة جديدة برئاسة " فليكس غايار " و إعطائها صلاحيات واسعة للقيام بأعمال سياسة تحقق مطامح الأوربيين في الجزائر أي الموالين لفرنسا ، و هكذا نالت حكومة " لا غايار" ثقة النواب الفرنسيين ب 337 ضد 173 صوت .

و في يوم 29 نوفمبر 1957 ، وافق أعضاء البرلمان الفرنسي على قانون الإصلاحات السياسية في الجزائر بأغلبية 269 ضد 200 صوت ، و لكن هذا القانون لم يطبق و لم يكن هناك أي إنسان مقتنع بمحتواه ، فالأوروبيون حقدوا على "روبير لا كوست " و تحركوا للعمل ضده و الإطاحة بالجمهورية الفرنسية الرابعة لأن قانون La lois cadrees " سمح للمسلمين أن على المساواة في التمثيل النيابي مع الأوربيين ، و قادة جبهة التحرير رفضوه لأنه بنص على بقاء الجزائر خاضعة لفرنسا و لا يتطرق إلى قضية استقلال البلاد و انفصالها عن فرنسا .[3]

لكن حكومة " لاغاير " في واقع الأمر ، لم تحقد عليها الجالية الأوروبية في الجزائر فقط [*] بل واجهت تمرد قادة الجيش الذين أرادوا أن يربحوا الحرب عن طريق التوسع فيها إلى تونس و إجبار دول المغرب العربي على طرد الثوار الجزائريين من الحدود أو التعرض لهجومات متوالية من القوات الفرنسية على أراضي تونس و المغرب ، و بدون الحصول على موافقة الحكومة الفرنسية ، قام الجيش الفرنسي يوم 08 فيفري 1958 بشن هجوم جوي على ساقية سيدي يوسف التونسية .[4]

---

[1] – عمار بوحوش : مصدر سابق ، ص 426 .

[2] – بسام العسيلي : " الثورة الجزائرية " ، دار الرائد ، الجزائر ، 2010 ، ص 349 .

[*] لقد كان رد فعل الشعب الجزائري على أحداث ساقية سيدي يوسف قيامهم بقتل ثلاث جنود فرنسيين هذا ما أدى إلى حقد الفرنسيين على حكومة غايار و قيامهم بمظاهرات 13 ماي 1958.

[3] – بسام العسيلي : " الاستعمار الفرنسي .... " ، مصدر سابق ، ص 183.

[4] – عمار بوحوش ، مصدر سابق ، ص 427 .

3 /- الأسباب المباشرة للهجوم :

أ / معركة جبل واسطة :

- أسباب المعركة :

كان للفرنسيين مركز عسكري متقدم لا يبعد عن الحدود التونسية سوى بنحو 30 كيلومترا ، و اعتاد جنوده القيام بدوريات واعتقالات لأبناء الشعب و اللاّجئين الجزائريين الهاربين من جحيم الحرب و الذين بنو أكواخا بين الحدود الجزائرية التونسية ، و لم يكتف الجيش الفرنسي بتنغيص حياة اللاجئين الجزائريين على الحدود ، بل كان يسلب منهم أرزاقهم و قوتهم اليومي الذي بالكاد يسدّ رمقهم ، و عمل الفرنسيون على دس مخبرين في أوساط الشعب لجمع المعلومات حول تحركات جيش التحرير الوطني ، و عدد أفراده و نوعية تسليحهم ، خاصة أنّ الحدود كانت منطقة عبور للمجاهدين ، و عندما يريد الجيش الفرنسي الاتصال بهم يقوم بحملة اعتقالات تضم هؤلاء المخبرين إلى جانب أبناء الشعب حتى لا يكتشف أمرهم ، و ازدادت شكاوي الناس من المداهمات الفرنسية [*] و الظلم و الاضطهاد الممارس ضدهم و كان لابد على المجاهدين الرد على همجية الفرنسيين .[1]

- تفاصيل المعركة :

عيّن الرائد الطاهر زبيري نائبه موسى حواسنية قائدا للفيلق الثالث بعد أن رقي إلى رتبة رائد ، و أصبح عضوا في مجلس قيادة القاعدة الشرقية ، لكنّه بقي على اتصال دائم به ، و عندما تزايدت شكاوي اللاّجئين من اعتداءات الجيش الفرنسي عليهم و على ممتلكاتهم [2] ، قرّر المجاهدون نصب كمين للكتيبة الفرنسية بالمركز المسمّى 28 و قال الرائد الطّاهر زبيري لقادة الفيلق الثالث : "لا بدّ من نصب كمين محكم و توجيه ضربة قوية للفرنسيين " ، وأضاف : "و هذا لا يعني ضرب الحيطان و الهرب عند بورقيبة [**] " و كان " الزبيري " يقصد أنه يجب توجيه ضربة نوعية إلى القوات الفرنسية و ليس مجرد محاصرتهم في مراكزهم المحصنة و إطلاق النار على العدو المختبئ وراء الحيطان

---

[1] - صدام رزقي : مرجع سابق ، ص 35 .

[*] كانت فرنسا الاستعمارية تضطهد السكان بالحدود الشرقية لمحاولة منع اتصالهم بالثوار وتقديم أي نوع من الدعم لهم وذلك من خلال توظيف عملاء جزائريين ينقلون اخبار الثوار ونشاطهم بالمنطقة .

[2] - الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 78 .

[**] يظهر من خلال قوله : الدور الذي كانت تلعبه تونس في دعم الثوار الجزائريين .

التي لا يخترقها الرصاص ، و من ثم الانسحاب إلى الحدود التونسية للاحتماء بها من الهجومات المضادة التي تشنها القوات الفرنسية باستعمال الطيران و المدفعية .[1]

إلاّ أن الرئيس التونسي " لحبيب بورقيبة " ضغط مرارا على قادة الثورة لكي لا يقوم جيش التحرير بأي عمليات عسكرية ضد الفرنسيين على الحدود أو انطلاقا من الأراضي التونسية ، خاصة و أن الفرنسيين هددوا " بورقيبة " بمتابعة المجاهدين إلى داخل التراب التونسي ، كما أنّ قادة الثورة ممثلين في لجنة التنسيق و التنفيذ أعطوا أوامرهم بتجنب القيام بعمليات عسكرية على الحدود .[2]

و مع ذلك قرر الرائد زبيري توجيه ضربة نوعية للقوات الفرنسية انطلاقا من الحدود التونسية التي كان متمركزا بها مع فيلقه فهيّأ ثلاثة فصائل مسلحة و دعّم قياداتها بثلاثة قادة آخرين ، فالفصيلة الأولى بقيادة العياشي حواسنية و نائبه عبد السلام بغدوش ، الفصيلة الثانية بقيادة حمه لولو ونائبه بن علاله ، أمّا الفصيلة الثالثة فبقيادة صالح مسادي المدعو " نهرو " و معه نائبه مصطفى لوهراني ، و تقوم الخطة التي وضعها الطاهر الزبيري على رصد تحركات الكتيبة الفرنسية التي اعتادت التنقل من المركز 28 * إلى المناطق الحدودية أين يتجمع اللاجئون ، في حين يتمركز مجاهدو الفصائل الثلاثة في أماكن محصنة طبيعيا بجبل واسطة ، وعند مرور الكتيبة الفرنسية وسط الغابة يتم إمطارهم بوابل من الرصاص وقصفهم بقذائف الهاون التي تعززت بها الثورة .[3]

---

[1] - بسام العسلي ، الاستعمار الفرنسي في مواجهة ...، مصدر سابق ، ص 184 .

[2] – صدام رزقي : مرجع سابق ، ص 37 .

* المركز 28 : أصبح يسمى قرية " جبار أعمر " في الحدود التونسية – الجزائرية قرب ساقية سيدي يوسف .

[3] – " هزيمة فرنسا في معركة واسطة فجرت أزمة بين باريس وتونس " مقال من إعداد : عمر الحامدي ، جريدة الشروق ، نشر في 2013/01/13 .

أخذت كل فصيلة موقعها المحدد حسب الخطة و لم يتوّقعوا أن يقع الفرنسيون في الكمين بتلك السرعة ، إذ أنهم و بمجرد أن شاهدوا قوات العدو حتى بدأوا في إطلاق النار من ثلاث جهات وقصفهم بقذائف الهاون التي شتت صفوف العدو و أوقعت بينهم الكثير من القتلى و الجرحى ، و أينما حاول العساكر الفرنسيون الهرب من ميدان المعركة إلا وجدوا نيران المجاهدين تصدهم بقوة ، و لم يتركوا لهم سوى منفذ واحد للهروب منه أشبه بعنق الزجاجة ، و ذلك وفق خطة مدروسة ، و ما إن خرج الفرنسيون من الحصار وفروا عبر عنق الزجاجة حتى وقعوا أمام سدادته ، حيث وجدوا فصيلة أخرى من المجاهدين في انتظارهم ، و كان " الاستقبال " حارا ، إذ فوجئوا بوابل من الرصاص يسدد باتجاههم ، و مرت بالعساكر الفرنسيين لحظات قاتلة ، و تعالت أصواتهم بالصراخ وطلب النجدة ، و لولا تدخل الطيران الفرنسي و قدوم التعزيزات العسكرية من المراكز الفرنسية القريبة لتمت إبادة الكتيبة الفرنسية بكامل أفرادها ، حيث قُتل في هذه المعركة 17 جنديا فرنسي ،[1] و أُصيب عشرة منهم بجراح ، و وقع خمسة منهم أسرى بين أيدي المجاهدين الذين غنموا أسلحتهم ، واستُشهد في هذه المعركة مجاهدين اثنين ، أمّا الصّحف الفرنسية فأعلنت عن فقدان 22 عسكريا فرنسي .

وعندما علم الرائد "الطاهر الزبيري " بأمر الكمين أخذ بعض الرجال و توجه إلى ساحة المعركة لشدّ أزر المجاهدين ، لكنّه وجد أنّ المعركة قد انتهت بعد تدخل الطيران الفرنسي ، فقاد جيشه و أخذ الأسرى إلى داخل التراب التونسي لتجنب الوقوع في عملية عسكرية فرنسية محتملة .

وحضر معركة "جبل واسطة " صحفي نمساوي يُدعى " كارل بريار "[*] و الذي كان بصدد إنجاز تقرير عن جيش التحرير الوطني في القاعدة الشرقية ، فتعرف على بعض من انتصارات جيش التحرير الوطني على العدو الفرنسي ، و توجه بعد المعركة إلى باريس مباشرة و أنجز تقريراً حول أحداث المعركة ، و اتصل بمجلة " باري ماتش " [**] واتفق مع رئيس تحريرها على منحه التقرير مقابل خمسة ملايين فرنك ، و عند نشر التقرير أحدث ضجة كبيرة وسط الرأي العام الفرنسي ، الذي اكتشف أحد جوانب الهزيمة الفرنسية بالجزائر .[2]

---

[1] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 81 .

[2] – نفسه ، ص 82 .

[*] انظر الملحق رقم : 08 ص 99 .

[**] باري ماتش : صحيفة فرنسية قامت بنشر صور لهزيمة الجيش الفرنسي في معركة جبل واسطة وهو ماتسبب في اضطرابات في الحكومة الفرنسية وعلى اثر هذا التوتر قامت بقصف الساقية .

- قضية أسرى المعركة :

انسحب المجاهدون من ساحة المعركة و أخذوا معهم الأسرى ثم ابتعدوا عن مركزهم و ذهبوا إلى جبل "سيدي أحمد " على الحدود مع تونس و خشي الرائد زبيري أن يعلم التونسيون بأمر الأسرى فيضغط " بورقيبة " على قادة الثورة لتسليم الأسرى إلى فرنسا لذلك التزم السرية ، و خبّأهم عند أخيه الحاج بلقاسم الذي كان مسؤولا عن مركز عبور أصبح يسمى "مزرعة موسى حواسنية " الواقع داخل الأراضي التونسية ، و في نفس الليلة أحضر ثلاثة أطباء جزائريين تابعين لجيش التحرير من مدينة "الكاف التونسية " و هم : الدكتور " بشير منتوري " (طبيب جراح) ، و الدكتور " بوذراع " ، و الدكتور "إبراهيم غياط " ، و قاموا بمعالجة الأسرى الأربعة المصابين ، في حين لفظ الأسير الخامس أنفاسه في الطريق إلى الحدود التونسية.[1]

حاول الرائد الطاهر زبيري في البداية إخفاء حقيقة الأسرى حتى لا تتعرض قيادة الثورة لضغوطات الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة ، خاصة بعد الاحتجاجات شديدة اللهجة التي تقدمت بها فرنسا إلى تونس ، و قد استدعت لجنة التنسيق و التنفيذ سي الطّاهر ، و كان من بين من التقاهم عبان رمضان * المكلف بالإعلام و رضا مالك و علي بومنجل و محمد يزيد ، و سألوه عن تفاصيل معركة " القوارد " و قاموا بتسجيل هذا الحديث و نشروه فيما بعد في إحدى الجرائد التابعة للثورة ، و لكن لجنة التنسيق و التنفيذ لم تسأله عن معركة "جبل واسطة " و لم يطلبوا منه تسليم الأسرى ، و لكن بعد ازدياد الضغوط الفرنسية و التونسية لتحرير الأسرى قرّر الرائد زبيري الدخول مع فصيلتين من الجنود و عبور " خط موريس " حتى لا يصبح مطلوبا لدى السلطات التونسية أو لدى مسؤولي الثورة .[2]

---

[1] – صدام رزقي ، مرجع سابق ، ص 39 .

* عبان رمضان : ولد في 10 جوان 1920 بالأربعاء نايث ايراثن ، مناضل في صفوف حزب الشعب بعد خروجه من السجن في جانفي 1955 التحق بالثورة و أصبح من أبرز قادتها ، حيث كان المحرك الأساسي لمؤتمر الصومام ، واغتيل بالمغرب يوم 27 ديسمبر 1957. انظر : محمد حربي ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض ، ص 185.

[2] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 84 .

ب / انعكاسات معركة جبل واسطة :

اتّهم النقيب " آلار " من فراشه في مستشفى سوق أهراس ، بعد أن أُصيب بجراح في ساقه ، التونسيين بدعم جيش التحرير في " معركة جبل واسطة " بقوله : " بورقيبة متواطئ " ، و ادّعى أنّ شاحنات للحرس التونسي نقلت الجنود الجزائريين إلى قواعدهم جنوب القرية ، غير أنّ " الطّاهر الزبيري " قائد هذه العملية ينفي مشاركة الحرس الوطني التونسي بأيّ شكل من الأشكال في هذه المعركة ، و يُوضّح أنّ الحرس التونسي كان له مراكز بالقرب من الحدود الجزائرية و عادة ما يرابط بالقرب من هذه الحدود لمنع جنود جيش التحرير أو العساكر الفرنسيين من الدخول إلى تُرابه ، خاصة عند وقوع معارك بالقرب من الحدود ، لكنه لم يقدم أي نوع من الدعم لجيش التحرير في هذه المعركة .

و تحركت الصحافة الفرنسية لتُؤكد أنّ الأسرى في تونس ، ففي 16 جانفي 1958 سلم رئيس الحكومة الفرنسية " فليكس غايار " رسالة إلى بورقيبة لا تخلو من التهديد و الوعيد حملها إليه الجنرال " باشلي " و " جاك لارش " و بدأت الأزمة في التصعيد ، وعاد المبعوثان رفقة سفير فرنسا في تونس " جورج غورس " إلى باريس ، و تقرّر إرسال " دبروكس " مبعوث الصليب الأحمر الدولي لمعاينة مصير الأسرى في تونس و الاتصال بجبهة التحرير و العمل على تحريرهم بسرعة .[1]

و في 20 جانفي نشرت أسبوعية " العمل " صور الأسرى الأربعة على صفحاتها وفي 23 جانفي كتبت إحدى الصحف الفرنسية "تقدم ملحوظ وتواصل سير القضية في هدوء ، ومن وقت لآخر تُعيد جبهة التحرير قولها بأن الأسرى لا يزالون في التراب الجزائري " .[2]

و في ظلّ فشل جميع الوسائل لإقناع جيش التحرير بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين ، و شعور الجيش الفرنسي بالمهانة و الإذلال على يد جيش التحرير ، شرع جنرالات الاحتلال في التّفكير بطريقة لإعادة الاعتبار لكرامتهم و الانتقام من الجزائريين و التونسيين على حد سواء ، فاقترح جنرالات فرنسا في الجزائر إرسال قوات مظلية و دبابات و طائرات لقصف أهداف في مراكز جيش

---

[1] – الطاهر سعيداني ، مصدر سابق ، ص 86 .

[2] – صدام رزقي : مرجع سابق ، ص 46 .

التحرير في مدن و قرى تونس ، باجه ، سوق الأربعاء ، غار الدماء ، تالة ، الكاف ، تاجروين ،القصرين ، تلابت ، ساقية سيدي يوسف ، غير أن باريس كانت تميل إلى عمل عسكري تستعمل فيه الطائرات دون تدخل القوات البرية أو المحمولة جواً .[1]

و كانت الصور المنقولة بالطائرات عن هذه المراكز قد أرسلت إلى وزارة الدفاع الفرنسية مرفوقة بمخطط يبين و جود " الفلاقة " في داخل هذه القرى ، و في يوم 2 فيفري باع سينمائي إنجليزي صور فيلم عن أماكن تمركز " المجاهدين " ، و أعلنت فرنسا في 29 جانفي حقها في متابعة المجاهدين في أي مكان يتواجدون فيه ، متهمة تونس بأنها أصبحت قاعدة خلفية لجيش التحرير.

و في ظل هذه الأجواء المشحونة بالتوتر بين فرنسا و تونس و جيش التحرير وقعت اشتباكات بين القوات الفرنسية و وحدات من جيش التحرير من الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) التي كانت متمركزة على الحدود التونسية بالقرب من قرية ساقية سيدي يوسف ، و غنم جيش التحرير الكثير من الأسلحة في هذا الاشتباك ، حسبما رواه المجاهد عبد القادر العيفة المدعو سي المحجوب للعقيد علي كافي قائد الولاية الثانية الذي كان يهم بعبور الحدود .[2]

و لأن السلطات الاستعمارية كانت أقرت قانون حق التتبع فإن العقيد علي كافي [*] حسبما جاء في مذكراته أنه نبه المحجوب إلى خطورة الوضع و أن العدو سيقوم برد عنيف ، و بالتالي سيدخل التراب التونسي و كانت أقرب نقطة للحدود هي ساقية سيدي يوسف ، مما جعله يعطي الأوامر بأن يحول جميع الجنود في الحين نحو ماطر و باحة و يفرغ جميع مزارع الجزائريين هناك ليلتجأ بها الجنود ، و الاستنجاد بمعتمد ساقية سيدي يوسف لوضع ما لديه من سيارات و شاحنات لنقل الجنود و التوغل داخل التراب التونسي حتى لا يترك أي حجة للعدو بأن الجنود الجزائريين متواجدون هناك هم الذين قاموا بالعملية ، و هذا ما حدث بالفعل ، و بهذا التصرف الحكيم أنقذ العقيد علي كافي بحكمته و سرعة بديهته العشرات من المجاهدين من السقوط شهداء تحت رحمة الطائرات الفرنسية و تمكن أيضا من إحراج السلطات الفرنسية أمام الرأي العام الدولي عندما لم يجدوا بين جثث القتلى أي جثث من ثوار جيش التحرير .[3]

---

[1] – صدام رزقي ، مرجع سابق ، ص 47 .

[2] – مذكرة علي كافي : من المناضل السياسي ألي القائد العسكري 1946 / 1962 ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 1999 ، ص 225 .

[*] ناضل في صفوف ح إ ح د منذ سن 16 ، درس في سكيكدة ، انضم إلى ج ت و سنة 1955 ، أصبح كاتبا لزيغود يوسف ثم أصبح من أبرز مسؤولي الولاية 2 (الشمال القسنطيني) ، ثم قائده سنة 1957 ، سفير الجزائر في القاهرة سنة 1961 .

[3] – نفسه ، ص 226 .

المبحث الثاني : قصف ساقية سيدي يوسف وتدعياته العامة :

1/ تفاصيل الحدث :

وفي صباح يوم 8 فيفري ، قامت 11 طائرة من نوع كورسير و 8 من نوع ميسترال ، وكلها من صنع أمريكي ، بقصف قرية ساقية سيدي يوسف التونسية الحدودية خلال سوقها الأسبوعي [1] بعد أن قامت بعملية الكشف الروتيني على الحدود التونسية الجزائرية قرب القرية [2] ، وقد أسفر الحدث عن وقوع 72 قتيلا و 87 جريحا [3]

لقد كان الهجوم حوالي الساعة الحادية عشر إلى منتصف الليل ، وحطمت وخربت ثلاثة أرباع الدكاكين والمتاجر والمنازل ، وحطمت مدرسة من قسمين بمن فيها من الأطفال والتلاميذ ، وخربت سيارات الهلال والصليب الأحمر الدولي [*] الذي يقدم المساعدات للاجئين الجزائريين .

ويذكر يحي بوعزيز في كتابه موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب بان عدد القتلى أزيد من 1500 شخص بين أطفال ورجال ونساء ، واختلطت سلع الدكاكين كالدقيق والخضر والفواكه... بتراب الدكاكين المنهارة ودماء القتلى والجرحى من الأبرياء والمعدمين ، واتضح أن ما زعمته السلطات الاستعمارية من أماكن للمدافع المضادة للطائرات هي حزم من البصل والجزر الثوم ، وتبعثرت على الأرض كراريس الأطفال الأبرياء وكتبهم ومحافظهم وأقلامهم وأدوات دراستهم ، واتضحت بربرية هذا الجيش الاستعماري العنصري الحاقد الذي قصد بذلك إدخال الرعب والذعر في أوساط الحكومة التونسية وإرغامها على خدمة أهدافه الاستعمارية ضد الجزائر وشعبها المكافح الصبور .[4]

و يذكر عمار بوحوش في كتابه " التاريخ السياسي للجزائر " بأنه قد قامت 27 طائرة حربية فرنسية من نوع " بي 27 " تحمل قنابل تزن الواحدة منها ربع طن و صواريخ جو أرض بقَنْبَلة القرية

---

[1] – د. يحي بوعزيز : مصدر سابق ، ص 521 .

[2] – عبد المجيد عمراني : مصدر سابق ، ص 90 .

[3] – بسام العسيلي :الثورة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص 346 .

[*] أنظر الملاحق رقم : 06 ص 97 ، 07 ص 98 و 12 ص 103 ،

[4] – د يحي بوعزيز ، مصدر سابق ، ص 522 .

بوحشية بداية من الساعة الحادية عشر و عشر دقائق و لمدة تفوق ساعة من الزمن ، و التي ألقت فيها بأطنان من القنابل ، ثمّ أصدرت قيادة الجيش الفرنسي بلاغا تقول فيه أن الطائرات الفرنسية دمّرت مراكز الثوار الجزائريين على بعد كيلومتر و نصف عن قرية " ساقية سيدي يوسف " بنسبة 50 بالمائة ، فأسرع الصحافيون و مصورو السينما من التونسيين و الفرنسيين و الأجانب إلى عين المكان و وجدوا ما أذهلهم ؛ قرية دمّرت بأكملها و دُفن أهلها بسبق الإصرار والترصد ، و صار سوقها الأسبوعي في خبر كان ، كما هُدّمت مدرسة القرية و تناثرت فوق أنقاضها أشلاء الأطفال وأدواتهم المدرسية ، ولم يوجد أي أثر لأي مركز لجيش التحرير أو لجنوده أو سلاحه ، و تأكّد حينها العالم من كذب البلاغات العسكرية الفرنسية و اطّلع بدهشة على انفعالات الثورة الجزائرية على الأمن في المنطقة ، و تبين للرأي العام العالمي ضرورة الإسراع بإيجاد حل للقضية الجزائرية .[1]

ان الجنرال راؤول سالان [*] هو من أمر بقنبلة ساقية سيدي يوسف انتقاما من تونس التي كانت تدعم ثورة التحرير الجزائرية ومارس الجنرال سالان التعذيب هو وجيشه وضباطه ضد الشعب الجزائري خلال الثورة 1954-1962[2]

النتائج العامة للقصف :

ولكن على عكس ما كان يهدف إليه الاستعمار الفرنسي ، فقد تسببت هذه المجازر في إثارة أزمة حادة بين حكومتي تونس وفرنسا واتهمت الولايات المتحدة الأمريكية في القضية ، لأن قاذفات القنابل التي خرجت من قرية الساقية من صنع أمريكي و تسلمتها فرنسا لتستعملها ضد الثورة الجزائرية.

فالحكومة التونسية ترى و تؤكد أن الوساطة لا تفيد في شيء اذا لم تتناول القضية الجزائرية ، وفي نفس الوقت ترفض رسميا تواجد شرطة دولية في منطقة الحدود ، لأن ذلك سيكون اعترافا رسميا بالوجود الفرنسي في الجزائر وعدم شرعية كفاح الشعب الجزائري من أجل استعادة حريته و استقلاله ، كما أن ذلك سيكون وسيلة لخنق ذلك الكفاح و القضاء على الثورة بسلطة دولية كذلك[3] ، فإن

---

[1] – عمار بوحوش : مصدر سابق ، ص 427.

[*] راؤول سالان : ولد في 10 جوان 1898 خريج الكلية الحربية المشهورة "سان سير" شارك في كل الحروب الاستعمارية التي خاضتها فرنسا في الهند الصينية والسنغال ، عمل مسؤولا في المكتب الثاني في الجزائر سنة 1943 .

[2] – سعدي بزيان ، مصدر سابق ، 44

[3] – د . يحي بوعزيز ، مصدر سابق ، ص 521 .

حكومة تونس ترفض السماح للجيش الفرنسي بحرية التنقل في الأراضي التونسية ما لم تقبل فرنسا بمبدأ الانسحاب الكامل من البلاد التونسية بما في ذلك قاعدة بنزرت البحرية .[1]

أما الحكومة الفرنسية ، فكانت على العكس من ذلك تحاول أن تستغل الوساطة لصالحها ، ولكن الثورة و أصدقائها و أشقائها في تونس و المغرب كانوا بالمرصاد لكل المؤامرات ، وكان عدوان الساقية مشجعا لتونس لكي تتخذ موقفا صلبا و ملائما لوجهة نظر قادة الثورة الجزائرية و مواقفهم الحاسمة.[2]

مجازر الساقية دعمت التلاحم بين الشعبين :

لقد اتضح للعيان أن الاستعمار الفرنسي مرض مزمن وجب استئصاله من جذوره و هذا ما أكدته أحداث ساقية سيدي يوسف التي راح ضحيتها العشرات من القتلى والعديد من الجرحى .

و حقا إن مجازر ساقية سيدي يوسف أوصلت التضامن بين الشعبين الشقيقين التونسي والجزائري وقادتهما إلى القمة ، وتجلى ذلك في اختلاط الدماء بينهم والمعاناة المشتركة وفي تعاونهما وتكاتفهما ضد الاحتلال الفرنسي وجلاديه وضد مخططاته الإجرامية .

و لقد أوصلت هذه المجازر التضامن بين الشعبين والبلدين أكثر من أي وقت مضى ، وان دماء الساقية زكية مباركة ، متنت وقوت التلاحم والتواصل بين الشعبين الشقيقين الجزائري والتونسي ، ودفعتهما للوقوف صفا واحدا ضد الاستعمار وجيوشه الطاغية ، إلي أن تم طرده بصفة نهائية وإلى الأبد .[3]

---

[1] – د يحي بوعزيز ، مصدر سابق ، ص 522.

[2] – عمار بوحوش ، مصدر سابق ، ص 429 .

[3] – د يحي بوعزيز ، مصدر سابق ، ص 523 .

2/ ردود الفعل الأولية على الحدث :

– إقليمية و مغاربية :

أ/ – المواقف التونسية :

ثارت ثائرة " بورقيبة " لهذه المجزرة وانتقد بشدة ما قامت به القوات الفرنسية ، ورفعت " تونس " دعوى إلى مجلس الأمن الدولي في 12 فيفري 1958 تُطالبه بإدانة هذه الجريمة ، ونظّم حزب " الدستور الجديد " مظاهرات في ربوع البلاد رافعا شعارا واحدا " الجلاء " ، و حاصر المتظاهرون التونسيون الثكنات الفرنسية المتبقية على الأرض التونسية مطالبين بجلائها بشكل كامل عن أرضهم ، و كانت للرئيس التونسي سُمعة دولية خاصة لدى المعسكر الغربي * ، لأنّه رفض تبني النمط الاشتراكي و الدخول تحت نفوذ جمال عبد الناصر.[1]

نتيجة لهذه العملية الإجرامية المرتكبة في حق الإنسانية قام الحبيب بورقيبة بسحب سفيره من فرنسا وطلب من الأمم المتحدة أن تتدخل لحماية مواطنيه من طغيان الاستعمار الفرنسي وتعويض الأضرار الناجمة عن الخطأ التاريخي ، كما طلب من فرنسا بإجلاء قواتها البالغة 20.000 جندي من التراب التونسي .[2]

وقد عبر بورقيبة عن موقفه من خلال خطابه عقب الأحداث حيث ذكر:

" أيها الشعب لقد فوجئنا اليوم بالحادث المريع الذي لم يكن له مثيل ، ولم يسبقه حادث بمثل الفظاعة التي كان عليها ، ومهما كانت إحساساتنا وكان تعلقنا بالسلم والتعاون وتدعيم علاقات منظمة بيننا وبين فرنسا فلا يتيسر لنا ان ننسى هذا الحادث ، بل أصرح انه من شأنه أن يبعدنا عن فرنسا ، ومن الصعب أن نفكر بعده في دفاع مشترك أو تعاون ما بيننا وبين ذلك الجيش ."

---

* في هذه الفترة كان هناك تنافس بين المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي الشيوعي على المستعمرات و وقد عرف عن المعسكر الشيوعي دعمه للحركات التحررية بما في ذلك الجزائر سنة 1956 .

[1] – د عبد المجيد عمراني : مصدر سابق ، ص 91 .

[2] – نفسه ، ص 92 .

لقد قدمت طائرات إلى ساقية سيدي يوسف وقذفتها وضواحيها بالقنابل مدة ما يقرب ساعة ، وحتى المدرسة الابتدائية والسوق فإنهما لم يعفيا ، وقد رجعت الطائرات سالمة وأصحابها يشعرون بالانتصار وغنم لمجرد تهديمهم لقرية وتقتيلهم لما يربو عن مائة شخص بما فيهم النساء والأطفال .[2]

وان تقتيلهم بهذه الصورة لا ينبئ عن استهتارهم بالسيادة التونسية فحسب بل وعن عدم اكتراثهم بالرأي العام العالمي الذي ينظر ويراقب .

لقد ادعوا أن طائرة رميت برصاص الرشاشات من التراب التونسي واضطرت إلى النزول إلى التراب الجزائري ، واعتمادا على ادعائهم قرروا الهجوم على بلاد صديقة تربطها وإياهم علاقات دبلوماسية وكذلك القيام بمجزرة في يوم سوق .

وهي نظرية لا يتيسر للرأي العام العالمي ان يقبلها بحال ، وعلى كل فالواجب أن نمسك أعصابنا ، نعم إنكم جميعكم متأثرون ، هذا أعلمه وأحس به في نفسي هذه اللحظة .[1]

إن هذا الحادث سيأتي بالشيء الكثير [*] ، لفائدة تونس والقضية الجزائرية والشمال الإفريقي ، إياكم والتهور ، وأحكموا أعصابكم ، و حافظوا على الأمن ، فسلامة الفرنسيين بتونس أمانة في عنق هذه الدولة و إذا كان هناك خلاف بيننا وبين الجيش الفرنسي فلا خلاف لنا مع شعب فرنسا ، ولا سبب في تغيير معاملتنا للجالية الفرنسية .[2]

لقد جلبنا سفيرنا بباريس ، وذلك لنشعر الشعب الفرنسي بأننا لم تبق لنا علاقات اعتيادية مع حكومته ، وأعطينا سفيرنا بواشنطن التعليمات اللازمة ، وعملنا يتطور مع الظروف ، وربما التجأنا

---

[1] – د . يحي بوعزيز ، مصدر سابق ، ص 520

[*] لقد كانت أحداث الساقية من ابرز احداث سنة 1958 حيث وصل صداها إلى كل ارجاء العالم ، لان هذا الاعتداء وقع على دولة ذات سيادة وعلى شعب اعزل وان كان يدل على شيء فهو يدل على توتر اعصاب فرنسا وعجزها على مجابهة الثورة التحريرية الجزائرية . مآثر الذكرى ال 39 لمجزرة ساقية سيدي يوسف ، **مجلة اول نوفمبر** ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، العددان 151–152 ، ص 39 .

[2] – سعدي بزيان ، مصدر سابق ، ص 45 .

إلى الهيئات الدولية وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة التي نحن متضامنون معها ويجب أن نشعر بتضامنها ، أما كيفية الالتجاء فاتركوها لحكومتكم وهي تحسن اختيار السبيل .

وفي هذه المحنة سنعرف الأصدقاء ، وأصدقاؤنا هم أصدقاء العدل والإنصاف وحفظ كرامة الشعوب ، والاعتداء الصارخ مقصود ، وقد اتخذنا إجراءات أهمها منع العساكر الفرنسيين من مغادرة مراكزهم بدون رخصة ما عدا من كان ذاهبا بدون عودة ، وذلك حفظا للنظام و اتقاءًا لما لا تحمد عقباه نتيجة غضب الشعب ، والجيش الفرنسي واحد سواء كان بالجزائر أو تونس .

إن قضية جلاء الجيش الفرنسي يجب أن نبادر بها قبل كل قضية ، ويجب أن نتخلص من هذا الاستعمار الذي داس على أرضنا و أهاننا طوال سنين ، و أن قضية الجلاء ستشمل التراب التونسي كله بما فيه من بنزرت ، و في مقدرتنا أن نتحاكم أمام منظمة الأمم المتحدة ، ولا دولة تمنعنا من ذلك ، فهو حق من حقوقنا لا يقبل مساومة ولا نرضى به . [1]

فالزعيم الحبيب بورقيبة قال في خطابه الأسبوعي : " يجب أن يعالج المرض من جذوره ،فلقد اتضح من أحداث ساقية سيدي يوسف أنها ما هي إلا جزء من أعمال أكبر [*] ، وأن هناك عشرات والمئات من ساقية سيدي يوسف بالجزائر ويقع ذلك باسم العالم الحر ، باسم الشعب الفرنسي وباسم أمة وشعب له ماضيه وله وزنه ، وذلك ما شجع العسكريين الفرنسيين على القيام بهذا الاعتداء ، لأنهم استأنسوا قيامهم كل يوم بأمثال بذلك في الجزائر ، وهذا ما يجعلنا نفهم ونقدر قادة جبهة التحرير حينما يتصلبون و يقولون الاستقلال أو الموت ، لأن الشعب الجزائري قاسى ما لم يقاسه شعب آخر ، ويقع ذلك والعالم الحر ساكت . "

---

[1] – د . يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر خلال القرنيين التاسع عشر والعشرين ،ج 3 ، القسم الأول ، دار الغرب ، للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص 164

[*] يقصد بورقيبة من قوله أن احداث الساقية هي جزء من اعمال اكبر بان الاساليب الاجرامية التي تقوم بها فرنسا الاستعمارية هي وسيلة اقرتها لفرض السيطرة على مستعمراتها لكن مما يلاحظ أثر قصف الساقية هو عكس ما كانت تطمح اليه فرنسا ، انظر كتاب : سعدي بزيان ، جرائم فرنسا في الجزائر .

و وزير الدفاع الباهي لأدغم ، قال في تأبين الضحايا العدوانيين [1] : " في هذا العدوان صورة ناطقة من صور الحوادث والغارات التي يقوم بها جيش الاستعمار على الجزائر منذ ما يزيد على ثلاث سنوات ، وهذا مما يغذي شعور الأخوة والتضامن والدين واللغة ، الذي نشعر به إزاء إخواننا الجزائريين ، " ستخطو حادثة ساقية سيدي يوسف خطوة شاسعة بالقضية الكبرى ، قضية شمال إفريقيا نحو الهدف المنشود ".[2]

و يقصد بذلك على أية حال توحيد بلدان شمال إفريقيا كلها في دولة واحدة وتعاونها ضد الاستعمار.

– نداء مفتي الديار التونسية :

...وإني أستصرخ الضمير العالمي والشعور الإنساني لإنقاذ فريق من الشعب الجزائري يربو عدده ثلاثمائة ألف نسمة وتخليصه من براثن الهلاك والإبادة تحت ستار حماية الحدود ومنع تسرب المقاومين الجزائريين من الحدود التونسية وتمكنهم من البطش بجنود الاستعمار القاسية الغاشمة ، أولئك الجنود الذين لا يرعون للإنسانية إلا ولا ذمة .

وما حادثة اعتدائهم على قرية ساقية سيدي يوسف والفتك بعدد عظيم من سكانها ورميهم القنابل المدمرة المحرقة على الشيوخ والرجال والنساء و الأطفال ودكهم القرية حتى صارت خاوية على عروشها ببعيدة عن الأذهان ولا زئلة أصداؤها عن الآذان .[3]

ب/ <u>الموقف الجزائري من أحداث ساقية سيدي يوسف :</u>

– موقف الشعب الجزائري :

إن القصف الفرنسي لقرية ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958 بأوامر من الجنرال سالان كان له رد مزدوج ، الأول جاء من طرف أصدقاء فرنسا التقليديين الذين كانوا يدعمونها في الحرب ، و في مقدمتهم الولايات المتحدة حيث اغتاظ كاتب دولتها ، وهو الحليف الأول لفرنسا على هذا الفعل

---

[1] – د يحي بوعزيز ، ثورات... مصدر سابق ، ص 165 .

[2] – د . يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر...، مصدر سابق ، ص 165 .

[3] - نفسه ، ص 166 ص 167 .

الإجرامي وقد بدأ تصدع العلاقات حتميا إلا أنه قد خف شيئًا فشيئًا بعد تأسيس لجنة المساعي الحميدة التي أدت إلى سقوط حكومة غايار الخليفة المعين لغي مولي ، وبقيت البلاد تعيش أزمة، أما الثاني فقد جاء من الجزائريين الذين أعدموا ثلاثة أسرى فرنسيين ، وهذا ما انجر عنه اضطرابات 13 ماي 1958 بالجزائر العاصمة حين كانت فرنسا بدون حكومة .[1]

– موقف جبهة التحرير الوطني :

إن عام 1958 كان حافلا بالنشاط الثوري لجبهة التحرير ، فبعد مجزرة ساقية سيدي يوسف الحدودية التونسية رفضت جبهة التحرير مشروع حلف البحر المتوسط الذي اقترحه رئيس الحكومة الفرنسية فليكس غايار ، على أن تقحم فيه كل من تونس والمغرب ، ويؤدي ذلك إلى توقفهما عن دعم الثورة الجزائرية ، وكان رفض جبهة التحرير له بمثابة إقبار له قبل أن يرى النور .[2]

كما عبرت جبهة التحرير الوطني عن تضامنها مع الشعب التونسي ، وقدمت لجنة التنسيق والتنفيذ في برقية لها تعازيها للشعب التونسي ، وأعلنت استعدادها لوضع قواتها إلى جانب القوات التونسية للتصدي للعدوان الفرنسي .[3]

ج/– الموقف الليبي من أحداث الساقية :

عبر الهادي المشيرقي في رسالة إلى تونس ذكر فيها :

في شهر فيفري سنة 1958 اعتدت فرنسا على تونس وألقت قنابلها على ساقية سيدي يوسف ، فأبرقت للحبيب بورقيبة و جلولي فارس رسالة قلت فيها :

" صاحب الفخامة بورقيبة رئيس الجمهورية والسيد جلولي فارس ، إن قبولكم للوساطة المعروضة من طرف أمريكا وبريطانيا يكون أكثر اعتبارا إذا شمل القضية الجزائرية ، أملنا الوحيد في استغلال القضية استغلالا لائقا لحمل أمريكا في اتخاذ موقف واضح من القضية الجزائرية ".[4]

---

[1] – عبد القادر بوطالب : الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية " من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير " ، دار دحلب ، الجزائر ، 2009 ، ص 317

[2] – د . يحي بوعزيز : موضوعات ..... ، مصدر سابق ، ص 404

[3] – رابح لوينسي و آخرون ، تاريخ الجزائر المعاصر ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2010 ، ص 280 .

[4] – الهادي ابراهيم المشيرقي : قصتي مع ثورة المليون شهيد ، ط 1 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2000 ، ص 283 .

– خارجية :

أ/ التبريرات الفرنسية على القصف :

في 11 فيفري و عند مناقشة المجلس الوطني لقضية العدوان على ساقية سيدي يوسف ، اعترف غايار أن الحكومة الفرنسية لا علم لها بالحادث [*] ، و أن مسؤولية هذه العملية تقع على عاتق العسكريين الجزائريين ، غير أنه أعلن عن تضامنه معهم .[1]

و قد حاولت السلطات الفرنسية تبرير عدوانها بحجة الدفاع عن النفس ، و أنها استهدفت المناطق العسكرية [2] ، و قالت لقد حذرنا و نبهنا السلطات التونسية عدة مرات من هذا الانتقام الذي كان منتظرا بين اللحظة و الأخرى و تعتقد السلطات الفرنسية أن هذه الجريمة منطقية و مبررة .[3]

و أعلن "كريستيان بينو " وزير خارجية فرنسا أن شن الهجوم على الأراضي التونسية من طرف الجيش الفرنسي يعتبر غلطة مؤسفة و أن الحكومة الفرنسية لم توافق عليها ، لكن خوفا من استيلاء الجيش على السلطة و عزل الحكومة ، قبل غايار تحمل مسؤولية الاعتداء على تونس ، و نتيجة لهذا الاعتداء على بلاده ، قام الرئيس بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية بطلب السلاح من الولايات المتحدة و بريطانيا للدفاع عن سيادة بلاده أو التوجه إلى الكتلة الشرقية للحصول السلاح من هناك ،

و كان هدفه الأساسي هو تدخل الولايات المتحدة و بريطانيا و الأمم المتحدة بقصد تدويل القضية الجزائرية و إنهاء الحرب التي تدور رحاها بهذا البلد المجاور لتونس ، [4]

---

[*] يذكر الكاتب الفرنسي jean ferniot في كتابه ديغول و 13 ماي بأن وزير الدفاع الفرنسي شبان دلماس والحاكم العام روبير لاكوست ووزير الخارجية الفرنسية بينو لم يكونوا على علم قبل وقوع الحادث .

– نحن نعتقد ان الكاتب اراد ان ينقذ شرف فرنسا وتاريخها المعاصر ليلون تاريخها الاسود .

[1] – بسام العسلي : الثورة الجزائرية ، دار الرائد ، الجزائر ، 2010 ، ص 346 .

[2] – رابح لوينسي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 280 .

[3] – عبد المجيد عمراني ، مرجع سابق ، ص 91 .

[4] – عمار بوحوش ، مصدر سابق ، ص 428 ..

و في 14 فيفري من نفس السنة قدمت فرنسا شكوى ضد تونس تحت عنوان " الموقف الناجم عن العون الذي تقدمه تونس إلى الثوار لتمكينهم من متابعة عمليات من الأراضي التونسية "، موجهة ضد وحدة الأراضي الفرنسية ، و سلامة أراضي و ممتلكات المواطنين الفرنسيين و اتهمت فرنسا تونس بأنها أظهرت نفسها غير قادرة على صيانة النظام على الحدود الفرنسية التونسية ، و طالبت بإدانة المعونة التي تقدمها تونس للثوار الجزائريين .

و قد بذلت الولايات المتحدة و بريطانيا جهودهما من اجل تسوية الحادث ، و ظل ممثلا الدولتين يترددان بين باريس و تونس من اجل الوصول إلى حل وسط لاسيما بعد قبول الحكومتين التونسية و الفرنسية هذه المساعي ، و قد قبلت الحكومة الفرنسية اتفاقا ينص على الانسحاب الجزئي للقوات الفرنسية ، و إعادة تجمعها في قاعدة بنزرت ، إلا أن الجمعية الفرنسية رفضت هذا الاتفاق 188 نبيل بلاسي ، و قد أدت تداعيات العدوان في نهاية المطاف إلى سقوط حكومة فليكس غايار في 15 افريل 1958.[1]

[1] – محمد عباس : " الثورة الجزائرية نصر بلا ثمن 1954 – 1962 ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص 270 .

ب / تونس تشكو فرنسا إلى مجلس الأمن :

و بعد وقوع المجزرة تدّخل نائب وزير الخارجية الأمريكي " ميرفي " الذي مازال على قيد الحياة إلى جانب المسؤول الدبلوماسي البريطاني " بيلي " للوساطة بين تونس و فرنسا ، و قابلوا " بورقيبة " و المسؤولين الفرنسيين لتهدئة الأمور ، و رافق هذه التحركات الدبلوماسية ضجّة إعلامية عالمية ضخمة أربكت السلطات الفرنسية و وضعتها في قفص ضيق ، و أخذت القضية أبعادا دولية ، و كان ذلك في صالح الثورة الجزائرية .[1]

قررت تونس في 10 فيفري 1958 أن تشكو فرنسا [*] بسبب حادث الغارة الجوية الفرنسية على قرية ساقية سيدي يوسف و أعلن ذلك السيد منجي سليم سفير تونس في وشنطن ، وقال أنه لا يستطيع أن يقول متى ستقدم تونس شكواها الى المجلس و في لندن اجتمع السفير التونسي مع وزير خارجية البريطانية بناءا على طلب سفير ، وقال ناطق بلسان وزارة الخارجية أن الحكومة البريطانية تلقت نبأ الهجوم الفرنسي باهتمام كبير وأنها تأسف بما أزهق من الأرواح ، وأضاف الناطق قائلا إن من مصلحة تونس و فرنسا أن تتبع الاعتدال و ضبط الأعصاب و في وشنطن قال الناطق بلسان وزارة الخارجية الأمريكية أن الحكومة الأمريكية يصورها قلق بسبب الهجوم الفرنسي و تأمل في التوصل إلى ترضية بين الطرفين .

وأعلن البيت الأبيض أن الرئيس " ازنهاور " أصدر تعليماته إلى " دالس " طالبا منه الإعراب للسفير الفرنسي عن قلق الولايات المتحدة الأمريكية بسب قصف القرية التونسية بالقنابل ، وصرح المستر جيمس هافرلي السكرتير الصحفي للرئيس " ازنهاور " للصحفيين بأن الرئيس و وزير الخارجية بحثا في موضوع قصف القرية التونسية بالقنابل الفرنسية أكثر من مرة بالهاتف أمس

---

[1] – محمد عباس ، مرجع سابق ، ص 272 .

[*] أنظر الملحق رقم : 13 ص 104 .

و مضى يقول وتبعا لأوامر الرئيس دعى وزير الخارجية السفير الفرنسي الى مكتبه ليبلغه قلق الولايات المتحدة الأمريكية ويطلب منه معلومات إضافية .[1]

لقد قام " دالس " بزيارة البيت الأبيض يوم 12 فيفري 1958 للبحث في الحادة مع الرئيس " ازنهاور " ، وسأل المستر " هافرتي " عن موقف " ازنهاور " اتجاه الحادثة فقال إن وجهة نظر الرئيس عكست في البيان الذي صدر أمس وجاء فيه أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية انزعجت جدا .

ذكرت " وكالة رويتر " أن الغارة الجوية على القرية التونسية قد أوقعت الحكومة الفرنسية في ورطة ووضعتها في موقف حرج لأنها كانت تحاول على الرغم من الصعوبات أن تنشأ علاقة وثيقة دائمة مع تونس ومنع أي دولة أخرى من التدخل بعلاقاتها مع تونس .

وتساءلت جريدة " باري برس " المسائية إذا ما كان رئيس الوزراء أو وزير الخارجية وحتى الوزير المقيم في الجزائر على علم مسبق بالنية بشن غارة على مثل هذا النطاق.

3 / الأزمة التونسية الفرنسية و مشكلة الوساطة الأمريكية الإنجليزية :

أصبحت جميع الصحف في العالم متيقنة من فشل الوساطة البريطانية الأمريكية و لو فشلا وقتيا في انتظار تدخل " همرشولد " أو الرجوع إلى هيئة الأمم المتحدة .

ومن الطبيعي أن يترتب على هذا الفشل نتائج و تطورات جديدة لا تتعلق بالمشاكل التونسية الفرنسية فحسب بل تتعلق بالوضعية المغربية عامة و بالحرب الجزائرية خاصة .

وفيما يلي نورد أراء أشهر الصحف الفرنسية في هذا الموضوع .

صحيفة " ليزيكو " :

فقد رفضت تونس المقترحات الفرنسية ، وفي " باربيزيو " لم يبقى للحكومة التونسية إلا مجال ضيق لمواصلة المناورات ، هل لا يحسن بنا والحالة هذه أن نرجع بالقضية إلى هيئة الأمم المتحدة ، ولكن الرجوع إلى هيئة الأمم المتحدة الذي يعني تعويض " بيلي " و " مورفي بهمر شولد " وفي الحقيقة ما هي إلا خطوة جديدة نحو تدويل مشاكل الشمال الإفريقي ". [2]

---

[1] –محمد عباس ، مرجع سابق ، ص 273 .

[2] – د. عبد الله شريط : " الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1958 "، دار هومه ، الجزائر ، 2010 ، ص 68 .

صحيفة " لميدي ليبر " :

" إننا لا نعلم شيئا عن نتيجة المحادثات التي ستجرى بين الوسيطين و " غايار " ، ولكن نعلم أننا ، إذا فشلت الوساطة نأمل العودة أمام محكمة الأمم المتحدة في ظروف أحسن بكثير من الظروف التي كنا فيها غداة قذف الساقية ".

نعم إن الرأي العام العالمي لم يغير حكمه في هذا الحادث المؤسف إلا أن التأثير الذي كان قد أحدثه ، انخفضت حدته كما هبطت درجة الغضب الذي أسفر عنه في العالم أجمع ، وليس معنى هذا أننا في هذه المرة سنربح شيئا جديدا لأننا نعتقد أنه كلما عرضت قضايا الشمال الإفريقي على المنابر العالمية إنما يسفر ذلك العرض على نتيجة حتمية واحدة وهي السير بالمشكل الجزائري نحو تدويل أكثر.

صحيفة " كومبا " :

" إن فرنسا تملك اليوم ملفا لا بأس به ، فهي لم تهاجم أحدا ولم تهدد أي دولة ، كما أنها تحترم الحكومات التي ساهمت في تنصيبها وتمدها بالمساعدة اللازمة ، و لهذا كله فهي محقة عندما تطالب غيرها باحترام حقوقها وبمراعاة مصالحها التي هي قديمة جدا ، وأول حق يجب احترامه هو التزام الحياد من جانب الجميع إزاء مشاكلنا الخاصة ، وفي مقابل ذلك يتعين على فرنسا أن تجعل بتطبيق دستور جزائري ، وقد أقامت فرنسا الدليل على أنها تلتزم بالقيام بهذا الواجب ، وعلى الآخرين الآن أن يختاروا طريقهم نظرا إلى أن القانون الدولي يطلب من جميع الدول احترامه على نفس المستوى وإلا فإن شرعية القانون الدولي تنعدم كما يفقد ميثاق الأمم المتحدة قيمته و كذلك الهيئة الدولية .[1]

صحيفة " ليبر بواتو ":

" إنه من المستبعد أن يكون الوسيطان قد تأثرا بحجج السيد بورقيبة وبتكتيكه السياسي ، و لهذا فإن الوسيطين لم يتراجعا أمام احتجاجات بورقيبة إلا أنهما على يقين بأن فشل بورقيبة في هذه القضية معناه فشله في بقائه على رأس الدولة التونسية ، ويدل هذا التطور على قوة جبهة التحرير في تونس ، وبعد هذا كله فلعل الوساطة لم تعرف إلا " فشلا وقتيا " في انتظار الفصل الثاني منها ".[2]

---

[1] – د. عبد الله شريط ، مرجع سابق ، ص 69 .

[2] – نفسه ، ص 70.

صحيفة " باري نور ما ندي " :

يجدر بالحكومة الفرنسية أن تفخر بأنها ربحت الوقت وتمكنت من تخفيض درجة الحمى التي هزت العالم أجمع غداة قذف الساقية .

أما وقد رفض بورقيبة رقابة الحدود واعتراف صراحة بأنه يمد الثوار بالإعانة فأنه أصبح من السهل علينا أن نضعه في كرسي الاتهام ... وعلى الرغم من هذه الفوائد فإن من الأمر المحقق هو أن أي حل لن يتحقق .[1]

ومعنى ذلك أننا سنكون دائما معارضين لحادث من الحوادث الحدود مما يزيد من شقة الخلاف بيننا وبين الحكومة التونسية وإذا اعتبرنا أنفسنا الرابحين في الميدان الدبلوماسي فإننا نخشى أن نكون الخاسرين في الميدان العملي " .

صحيفة " لانوفيل ريبوبليك " :

" ليس من الصعب على رجال القانون الفرنسيين بأن يقنعوا جميع الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة أن سيادة تونس لا يحدها إلا احترام السيادة الفرنسية على الجزائر – هذه السيادة التي يتعنت بورقيبة في نكرانها – أن مثل هذا السلوك لا تعبر عليه حكومة فرنسية ولا يتحمله أي فرنسي .

وسوف تطرح هذه المشكلة القائمة بيننا وبين تونس على هيئة الأمم المتحدة " وحينئذ – قال بورقيبة – سنتبين أصدقائنا الحقيقيين من أعدائنا " وفرنسا كذلك يسرها أن تتبين أصدقائها من أعدائها في هذه المناسبة وعندئذ تستخلص فرنسا جميع العبر لضمان " وحدتها الترابية " ، وعندئذ تعلم فرنسا أن أصدقاء أعدائها لا يمكن أن يكونوا أصدقائها هي ، وسوف يكون من الغريب أن نشاهد بعض الدول المناهضة للشيوعية تتخلى عن فرنسا وتؤازر قومية عربية تستند على روسيا ضد الغرب ".

صحيفة " لود وفيني ليبري " :

" إن فشل الوساطة في تونس يثير من جديد قضايا الشمال الإفريقي بأكمله ، وهكذا فإن الفشل يعني الرجوع بنا ، نعلم أن المشاكل متشعبة ومتداخلة جدا بحيث أن العودة إلى هيئة الأمم المتحدة أمر لا مفر منه ، وليس من المستبعد أن تثار في هذه المناسبة قضية الجزائر و أسبابها ونتائجها ووسائل[2]

---

[1] – د . عبد الله شريط ، مرجع سابق ، ص 70 .

[2] – نفسه ، ص 71 .

حلها ، إن الملاحظ الذي ينضر من بعيد يرى أن تطور المشاكل في شمال إفريقيا ينتهي إلى القول بان هذه الأخيرة مرتبطة بمشاكل إفريقيا السوداء و تتطلب جميعا حلا إجماليا ".[1]

صحيفة " لوموند " :

" إن أحسن رد نسفه به الاتهامات التونسية القائلة بأن فرنسا تبحث عن فشل الوساطة هو أن نخرج قضية مراقبة الحدود من المشاكل الفرنسية التونسية الأخرى ، وأن نحيل هذه القضية إما على نظر " همرشولد " أو مجلس الأمن ،وقد يتقدم الوسيطان بهذا الاقتراح للم . قايار هذه المرة ، ولا ننسى أن الجزائريين يرغبون في الرجوع الآن إلى الأمم المتحدة والأفضل إلى الجمعية العمومية ، فقد صرح السيد محمد يزيد لصحيفة "لا كسيون " إننا على أهبة الشروع في المطالبة باستدعاء الجمعية العامة للانعقاد وهكذا فان الفرنسيين والتونسيين سيجدون أنفسهم وجها لوجه أمام الهيئة الدولية بعد مضي شهرين كاملين على الحادثة الساقية ، وتكون النتيجة حينئذ أنهم قاموا بجولة طويلة ليعودوا في النهاية إلى مصدرهم الأول ".

صحيفة " لا كروا ":

" لقد فكر بعضهم في تقسيم القضايا إلى صنفين : الصنف الأول وهو المشاكل التونسية الفرنسية المحضة كالجلاء وبنزرت والمطارات ، يبقى تحت تصرف الوسيطين ، والصنف الثاني وهو قضية مراقبة الحدود ، فإنه ينقل إلى الأمم المتحدة ، ولكن هذا الحل الوسط لا يفض المشاكل إذ أنه لا يبعد ضرورة الرجوع إلى الأمم المتحدة .

وليس من المستبعد والحالة هذه أن يقدم الأمريكيون بعض الرضيات للتونسيين ليثيروا من جديد الوساطة التونسية المغربية الخاصة بالجزائر ويشجعونها ، ولكن فرنسا ستكون أكثر امتناعا أمام هذه الوساطة لأن تونس لم تعد تخف أنها تمد الثوار الجزائريين بالمساعدة .

وإذن فإنه يسعنا إلا أن نعترف بالأمر الواقع وهو أن الوساطة الأمريكية البريطانية انتهت هذه المرة إلى مأزق كامل .

وحينئذ يتعين على الأمريكيين والبريطانيين أن يبرهنوا على خصوبة مخيلتهم لإخراج الوساطة من المأزق ، وعلى كل حال فإنهم لن يبقوا مكتوفي الأيدي أمام تعفن الوضعية في المغرب وتونس زيادة على تعفنها في الجزائر خاصة وأنهم أصبحوا ينعتون بمساعدي فرنسا في حرب الجزائر ".[2]

---

[1] – عبد الله شريط ، مرجع سابق ، ص 71 .

[2] – نفسه ، ص 72 .

ملخص الفصل الثالث :

لقد حاولت فرنسا الاستعمارية ضرب التضامن التونسي مع الثورة الجزائرية من خلال قيامها بهجوم جوي على قرية ساقية سيدي يوسف التي تقع في الحدود الجزائرية التونسية في 8 فيفري 1958 بعد سلسلة من الاضطرابات السياسية التي عرفتها فرنسا و يندرج عملها الإجرامي هذا في ما تسميه حق التتبع للثوار الجزائريين الذين قامت تونس بدعمهم وسمحت لهم بالدخول إلى ترابها ، وقد ذكرت فرنسا بان هذا الهجوم مبرر وقالت بأنها قد حذرت تونس من هذا الدعم الذي تعتبره مخلا بالاتفاقيات التي وقعتها مع تونس في جوان 1955 .

تعتبر معركة جبل واسطة في 11 جانفي 1958 التي بادر بها الثوار في القاعدة الشرقية من الأسباب المباشرة التي جعلت فرنسا تقوم بالهجوم على الساقية .

لقد توحدت المواقف الدولية في إدانة الهجوم الجوي الذي قامت به فرنسا الاستعمارية حيث أكدت هذه الدول وخاصة ال . م . أ التي وعلى الرغم من علاقتها الجيدة مع فرنسا إلا أنها استنكرت الفعل الفرنسي في بادئ الأمر ثم راحت تبحث وتحاول التوسط بين الطرف التونسي والطرف الفرنسي وهذا من خلال مناقشتها للازمة في جدول أعمالها في سنة 1958

خاتمة

خاتمة :

آخر ما استخلصناه في نهاية بحثنا هذا عن أحداث ساقية سيدي يوسف يمكن تلخيصه في العديد من النقاط :

01 / إن الثورة الجزائرية التي اندلعت في 01 نوفمبر 1954 تعتبر من أهم الثورات في القرن العشرين و ذلك من خلال التنظيم المحكم و توفيقها بين العمل الثوري بالداخل و العمل الدبلوماسي على المستوى الخارجي ، رغم الضغوطات التي تعرضت لها في عامها الأول من اندلاعها خاصة مشكلة السلاح التي تم القضاء عليها من خلال الدور الذي لعبته القاعدة الشرقية في تموين الثورة بالسلاح عن طريق الحدود التونسية الجزائرية

02 / لقد لعبت تونس دورا هاما في دعم الثورة الجزائرية رغم الأزمات التي مرت بها في الفترة الممتدة من سنة 1955 – 1958 من خلال الكثير من المواقف مثل انقسام حزب الدستور إلى تيارين متعارضين أحدهما ينادي بوحدة المغرب و مثله صالح بن يوسف و التيار الآخر مثله الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الذي رضي بمفاوضات جوان 1955 مع فرنسا .

لقد اعتبر صالح بن يوسف تلك الاتفاقيات متعارضة مع مبدأ وحدة المغرب العربي و تجعل تونس تفاوض من مركز ضعيف .

03 / رغم تلك الأزمات التي كانت تعاني منها تونس إلا أن النظرة العامة لعلاقتها مع الثورة الجزائرية كانت تظهر بأن الدعم التونسي للثورة الجزائرية لم يتوقف سواءًا كان ماديًا أو معنويًا فالدعم المعنوي تجلى في دور النوادي و المفكرين و الصحافة إضافة إلى الدعم الشعبي الذي حضي به الشعب الجزائري من خلال التكفل باللاجئين الفارين من بطش الاستعمار ، أما فيما يخص الدعم المادي فقد تمثل في تلك المساهمات و المساعدات المالية و جمع الأموال في شكل ضرائب لصالح الثورة هذا فيما يخص المساعدات المالية ، بالإضافة إلى كون فرق جيش التحرير الوطني الناشطة في الحدود التونسية الجزائرية كانت تنتقل بسهولة في وسط القرى و المداشر الحدودية التونسية مستفيدة من الدعم الكامل تموينا و إيواءًا ، فضلا عن ما ذكرنا فقد مثلت التظاهرات و الإضرابات المسيرة من طرف المنضمات و الهيئات الشعبية دورا كبيرا في دعم الثورة الجزائرية ، لقد أدى الدعم التونسي سواءًا كان سلطة أو شعبا للثورة الجزائرية خاصة بعد استقلال تونس إلى تزايد الضغوط

الفرنسية على تونس ، فحق المتابعة الذي أقرته فرنسا الاستعمارية في 1957 ضد الثوار الجزائريين في الحدود التونسية الجزائرية الذي انتها بمجازر ضد قرية ساقية سيدي يوسف .

04 / إن أحداث ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958 ، إن كانت تدل عن شيء فإنها تدل على فرنسا الاستعمارية فشلت في القضاء على الثورة ، و أظهرت نفسها للرأي العام الدولي أنها عاجزة أمام الثورة و قيادتها ، فهجومها على هذه القرية الحدودية راح ضحيته أبرياء لا يحملون السلاح و قد كانت الإستراتيجية المتبعة هي محاولة خلق أزمة بين تونس و الجزائر لكن على العكس ازداد التضامن و التلاحم بين الشعبين الجزائري و التونسي ، و التفت العالم كله لإدانة فرنسا و تحميلها المسؤولية .

05 / إن حادثة الساقية نفسها حيث تسببت هذه الأحداث في نهاية المطاف في سقوط حكومة فيليكس غايار في 15 سيدي يوسف حدث في يوم واحد بل في ساعات محدودة لكن انعكاساتها كانت كثيرة خاصة على فرنسا أفريل 1958 و تسببت في تورط الولايات المتحدة الأمريكية في القصف لآن الطائرات التي قامت بالقصف هي من صنع أمريكي ، هذا ما جعل بريطانيا و أمريكا تتوسط بين تونس و فرنسا لحل الأزمة ، هذه الوساطة ساهمت كثيرا في الدفع بالقضية الجزائرية إلى المحافل الدولية و إلى عقد العديد من المؤتمرات مثل مؤتمر طنجة الذي جاءت نتائجه لصالح الجزائر و بلدان المغرب العربي كما تعتبر أحداث ساقية سيدي يوسف أحد الأسباب التي تأسست بسببها الحكومة المؤقتة الجزائرية .

الملاحق

الملحق رقم 01 : خط موريس في الجهة الشرقية [1]

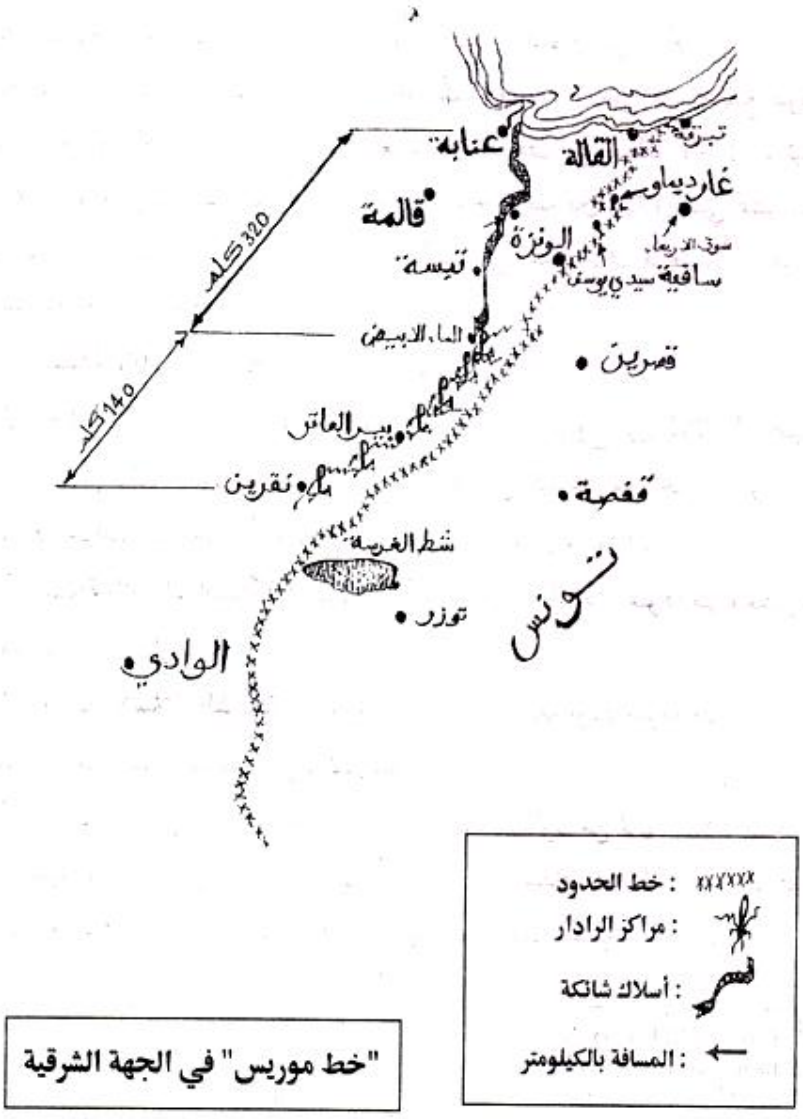

[1] – الطاهر سعيداني :القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض ، ص 63

الملحق رقم 02 : خريطة مرور الأسلحة والقواعد الخلفية في تونس وليبيا . [1]

خريطة مرور الأسلحة والقواعد الخلفية في تونس وليبيا

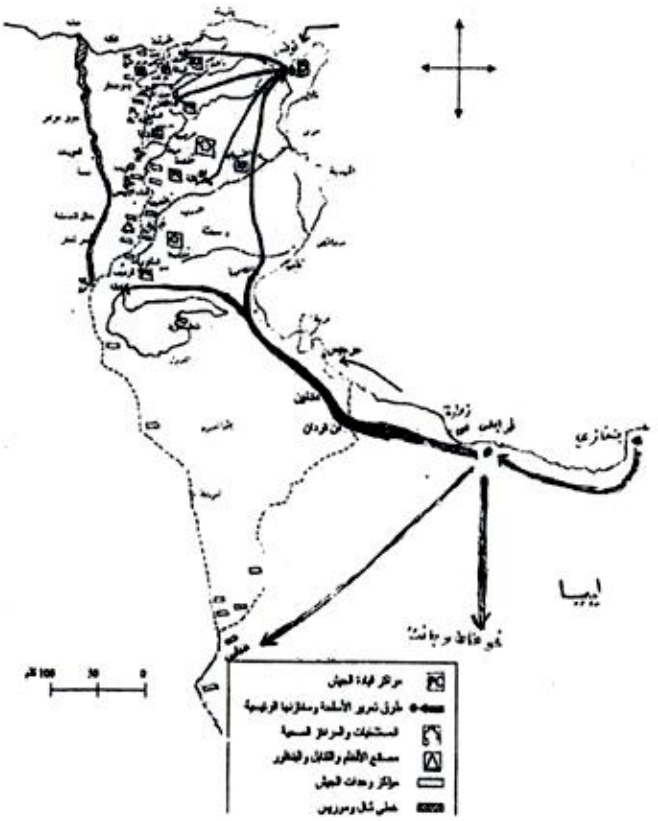

[1] – صدام رزقي ، مرجع سابق ، ص 71

الملحق رقم 03 : خريطة القاعدة الشرقية [1]

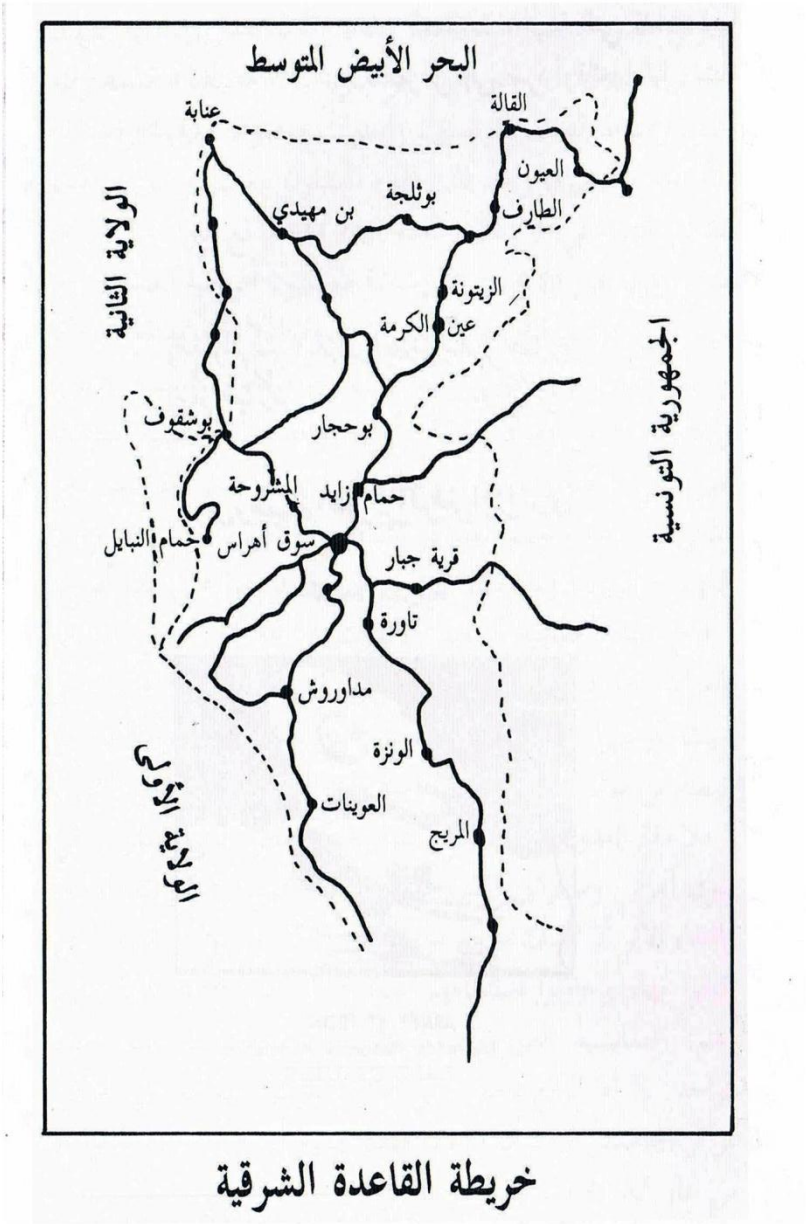

[1] – صدام رزقي ، مرجع سابق ، ص 65 .

الملحق رقم 04 : الرائد الطاهر سعيداني [1]

[1] – الطاهر سعيداني ، مصدر سابق ، ص 13 .

الملحق 05 : الطاهر سعيداني مع عمارة بوقلاز[1]

[1] – الرائد الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 232 .

الملحق رقم 06 : ميادين نشاط الهلال الأحمر في تونس والمغرب [1]

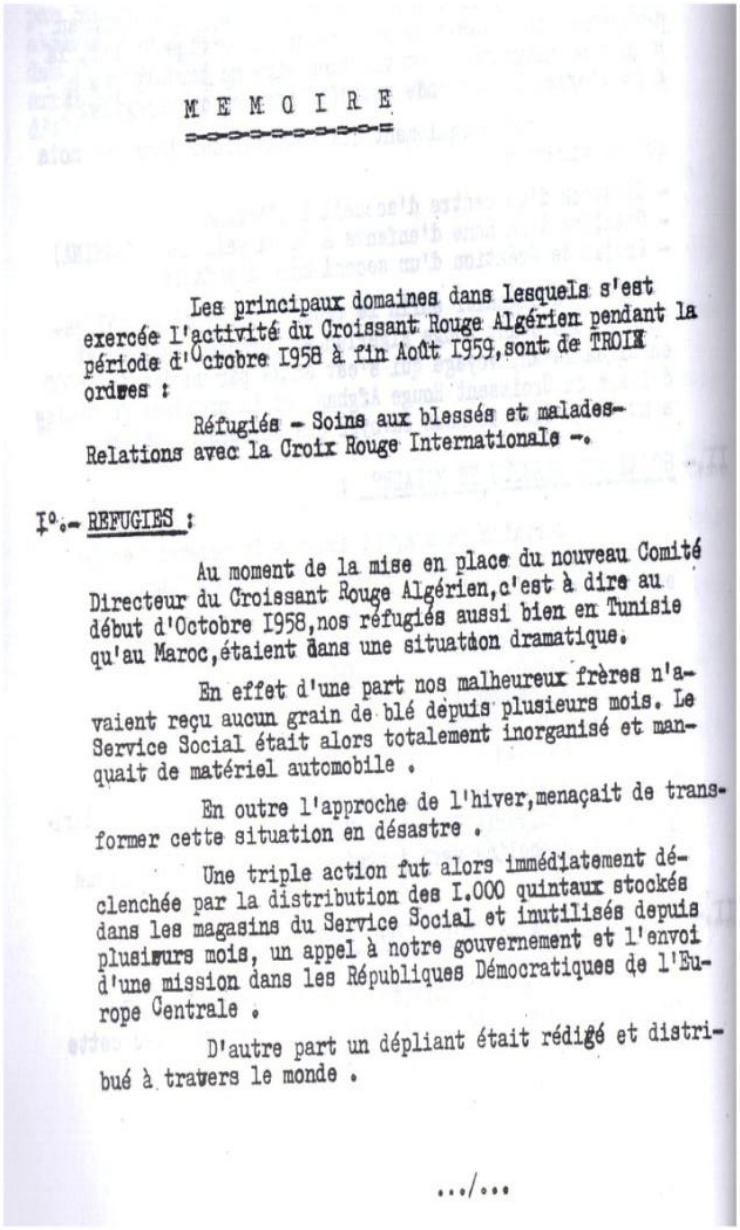

M E M O I R E

Les principaux domaines dans lesquels s'est exercée l'activité du Croissant Rouge Algérien pendant la période d'Octobre 1958 à fin Août 1959, sont de TROIS ordres :

Réfugiés - Soins aux blessés et malades- Relations avec la Croix Rouge Internationale -.

I°.- REFUGIES :

Au moment de la mise en place du nouveau Comité Directeur du Croissant Rouge Algérien, c'est à dire au début d'Octobre 1958, nos réfugiés aussi bien en Tunisie qu'au Maroc, étaient dans une situation dramatique.

En effet d'une part nos malheureux frères n'avaient reçu aucun grain de blé depuis plusieurs mois. Le Service Social était alors totalement inorganisé et manquait de matériel automobile .

En outre l'approche de l'hiver, menaçait de transformer cette situation en désastre .

Une triple action fut alors immédiatement déclenchée par la distribution des 1.000 quintaux stockés dans les magasins du Service Social et inutilisés depuis plusieurs mois, un appel à notre gouvernement et l'envoi d'une mission dans les Républiques Démocratiques de l'Europe Centrale .

D'autre part un dépliant était rédigé et distribué à travers le monde .

.../...

[1] – عمار بوضربة ، مرجع سابق ، ص 353

الملحق رقم 07 : صورة لممرضات من الهلال الأحمر [1]

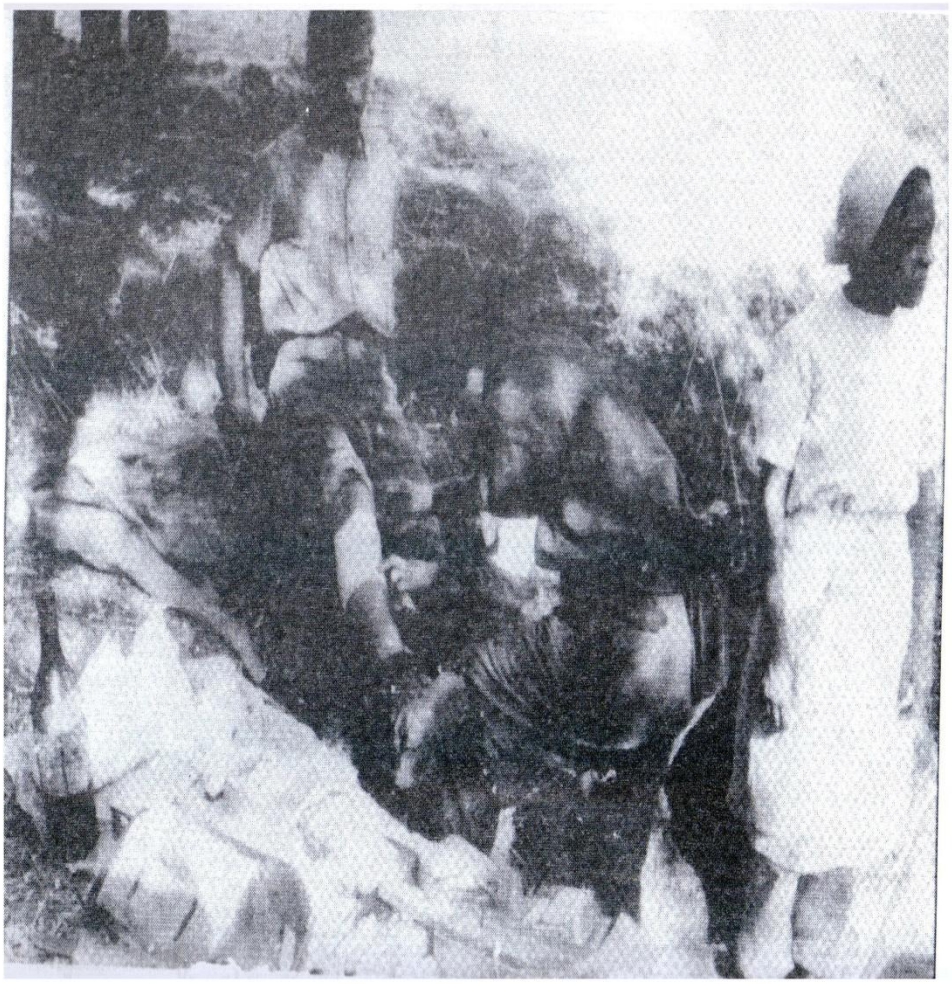

[1] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 216.

الملحق رقم 08 : صورة لكارل بريار صحفي نمساوي ، حضر معركة لحدادة و قام بنقل هزيمة الجيش الفرنسي في جريدة باري ماتش ، مما انجر عنها الغارة على ساقية سيدي يوسف و الواقف أحمد درايا . [1]

[1] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 165 .

الملحق رقم 09 : تموين الجيش في القاعدة الشرقية [1]

[1] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 106 .

الملحق رقم 10 : أول فيلق لنقل السلاح بالحدود التونسية إلى القبائل ، في الانطلاق قائد الفيلق الشهيد محمد القبائل [1]

[1] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ص 236 .

الملحق رقم 11 : الطاهر الزبيري قائد الفيلق الثالث ، الصحفي ايدموند ريتشي ، الرائد سعيداني و محمد عواشرية [1]

[1] – الطاهر سعيداني : مصدر سابق ، ص 51 .

الملحق رقم 12 : آثار قصف ساقية سيدي يوسف (شاحنات الهلال الأحمر) [1]

[1] – وثيقة تحت رقم 96 من مركز الوثائق الوطني التونسي

الملحق رقم 13 : مقال نشر في جريدة الشعب التونسية عن موضوع الشكوى التونسية إلى مجلس الأمن .[1]

تونس تشكو فرنسا الى مجلس الأمن

وقف بريطانيا وامريكا من حادث الغارة الفرنسية

الشعب
٩ - ٢ - ٥٨

واشنطن – ١٠ شباط – قررت تونس ان تشكو فرنسا الى مجلس الامن بسبب حادث الغارة الجوية الفرنسية على قرية «ساقية سيدي يوسف» . واعلن ذلك هنا اليوم السيد منجي سليم سفير تونس في واشنطن ، وقال انه لا يستطيع ان يقول متى ستقدم تونس شكواها الى المجلس .

وفي لندن اجتمع السفير التونسي بالمستر سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية بناء على طلب السفير . وقال ناطق بلسان وزارة الخارجية ان الحكومة البريطانية تلقت نبأ الهجوم الفرنسي باهتمام عظيم ، وانها تأسف لما ازهق من الارواح ، واضاف الناطق قائلا ، ان من مصلحة تونس وفرنسا ان تتبعا الاعتدال وضبط الاعصاب .

وفي واشنطن قال ناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية، ان الحكومة الامريكية يساورها قلق عظيم بسبب الهجوم الفرنسي وتأمل التوصل الى تسوية مرضية .

واعلن البيت الابيض اليوم ان الرئيس ايزنهاور اصدر تعليماته الى دالس طالبا منه الاجتماع بسفير فرنسا من قبل الولايات المتحدة بشأن قصف القرية

تدهور في بورصة باريس بسبب حادث القرية التونسية

باريس – ١٠ شباط – تدهورت في بورصة باريس اليوم اسعار الاسهم ، ويعزو الخبراء ذلك الى القلق الذي ساور النفوس بسبب الغارة الفرنسية على القرية التونسية . وتأثرت اسهم شركات البترول والمناجم في الصحراء الكبرى اكثر من غيرها ، كما حدث الخفاض في سوق الذهب .

التونسية بالقنابل . وصرح المستر كريستيان هاترتي السكرتير الصحفي للرئيس ايزنهاور لصحفيين اليوم بان الرئيس ووزير الخارجية بحثا في موضوع قصف القرية التونسية بالقنابل الفرنسية اكثر من مرة بالتلفون امس .

وعلى اثر ذلك وبناء لاوامر الرئيس دعا وزير الخارجية السفير الفرنسي الى مكتبه ليبلغه قلق الولايات المتحدة ويطلب منه معلومات اضافية . وقد قام دالس بزيارة البيت الابيض صباح اليوم للبحث في الحادث مع الرئيس ايزنهاور .

وسئل المستر هاترتي عن شعور الرئيس ايزنهاور تجاه الحادث فقال ان وجهة نظر الرئيس عكست في البيان الذي صدر امس وجاء فيه ان حكومة الولايات المتحدة انزعجت جدا .

وعلى اثر اعلان تونس بانها ستطلب من مجلس الامن الدولي بحث القضية جرت مجادلات خاصة اليوم بين اعضاء الكتلة الافريقية الاسيوية في الامم المتحدة ، والكتلة في مجلس الامن عضوان هما العراق واليابان . اما الدول الاعضاء في المجلس فهي بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا والسويد وكندا وكولومبيا والصين وبنما ، ويتولى ميرسوبوليف سفير الاتحاد السوفياتي في الولايات المتحدة رئاسة المجلس لهذا الشهر .

ورطة

وقالت وكالة رويتر ان الغارة الجوية الفرنسية على القرية التونسية ، قد اوقعت الحكومة الفرنسية في ورطة ، ووضعها في موقف حرج لانها كانت تحاول على الرغم من الصعوبات ان تنشيء علاقات وثيقة دائمة مع تونس ، ومنع اية دولة اخرى من التدخل في علاقاتها مع تونس .

وتساءلت اليوم جريدة « باري برس » المالية التي تؤيد اعمال الحكومة العسكرية في الجزائر عما اذا كان رئيس الوزراء او وزير الخارجية و حتى الوزير المقيم في الجزائر على علم مسبق بالنية في شن غارة على مثل هذا النطاق .

[1] – جريدة الشعب ، تونس تشكو فرنسا إلى مجلس الأمن ، بتاريخ 14 فيفري 1958.

البيبليوغرافيـــــا

قائمة المصادر و المراجع :

أولا : المصـــــــادر:

- باللغة العربية :

1- القرآن الكريم .

2- الدكتور يحي بوعزيز : " موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب " ، الجزء الثاني ، دار الهدى عين مليلة – الجزائر ، 2009 .

3- ـــــــــــــــ : " ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين " ، الجزء الثالث (القسم الأول) ، دار الغرب ، الجزائر ، 2010 .

4 – مذكرات الرائد الطاهر سعيداني : " القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض " ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 .

5 – مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة : " شاهد على اغتيال الثورة " ، دار الحكمة الجزائر ، ط 2 ، 2000 .

6 – النقيب مراد صديقي : " الثورة الجزائرية عمليات التسلح السرية " ، نقله إلى العربية د. أحمد الخطيب ، دار الرائد ، الجزائر ، 2010 .

7 – مذكرات الرائد عمار ملاح : " وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية " ، دار الهدى ، الجزائر ، 2003 .

8 – الفضيل الورتلاني : " الجزائر الثائرة " ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 .

9 – مصطفى هشماوي : " جذور نوفمبر 1954 في الجزائر " (دراسة) ، دار هومه ، الجزائر ، 2010.

10 – بسام العسيلي : " الاستعمار الفرنسي (في مواجهة الثورة الجزائرية) " ، دار النفائس و دار الرائد ، ط . خاصة ، الجزائر ، 2010 .

11 –ـــــــــــــــ: " الثورة الجزائرية " ، دار الرائد ، الجزائر ، 2010 .

12 – الدكتور مسعود فلوسي : " مذكرات الرائد مصطفى مراردة "ابن النوي " (شهادات و مواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى) " ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2009 .

13 – محمد زروال : " اللمامشة في الثورة " (دراسة) ، الجزء الأول و الجزء الثاني دار هومه الجزائر ، 2003 .

14 – نبيل بلاسي ، " الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر " ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1990 .

15 – عمار بوحوش : " التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962 " ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1991 .

16 – سعدي بزيان : " جرائم فرنسا في الجزائر " ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 .

17 – مذكرات علي كافي : " من المناضل السياسي إلي القائد العسكري 1946 / 1962 " ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 1999 .

ثانيا : المراجـــــع :

أ / – باللغة العربية :

1 – سعيدي وهيبة : " الثورة الجزائرية و مشكلة السلاح (1954 / 1962) " ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2009 .

2 – أزغيدي محمد لحسن : " مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 – 1962 " ، دار هومه الجزائر 2009 .

3 – محمد الهادي الحسني : " من وحي البصائر " ، تقديم أ . د . محمد صالح ناصر ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 .

4 – محمد الصالح الصديق : " كيف ننسى و هذه جرائمهم ؟ " ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 .

5 – المركز الوطني للدراسات و البحث : " الأسلاك الشائكة المكهربة (دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة و الألغام) " ، دار القصبة ، الجزائر ، 2009 .

6 – رابح لونيسي وآخرون : " تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989 " ، الجزء الأول ، دار المعرفة الجزائر ، 2010 .

7 – الدكتور عبد المجيد عمراني : " جون بول سارتر و الثورة الجزائرية 1954 – 1962 " ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، 2010 .

8 – عبد القادر بو طالب : " الأمير عبد القادر و بناء الأمة الجزائرية " ، دحلب ، الجزائر ، 2009 .

9 – الدكتور عبد الملك مرتاض : " المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1954 – 1962 " ، دار الكتاب العربي الجزائر ، 2010 .

10 – الأستاذ معمر العايب : " مؤتمر طنجة المغاربي " (دراسة تحليلية تقييميه) دار الحكمة ، الجزائر ، 2009 .

11 – عمر بوضربة : " النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية " ، دار الحكمة الجزائر ، 2009 .

12 – السيد علي أحمد مسعود : " التطور السياسي في الثورة الجزائرية 1960 – 1961 " ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2009 .

13 – الدكتور عبد الله شريط : " الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1958 " ، دار هومه ، الجزائر ، 2010 .

14 – ابراهيم العسكري : " لمحات من سيرة الثورة التحريرية و دور القاعدة الشرقية " ، دار البعث ، الجزائر ، 1999 .

15 – عمار بن سلطان وآخرون : " الدعم العربي للثورة الجزائرية " ، مطبعة الديوان ، الجزائر ، 2007 .

16 – إبراهيم مياسي : لمحات من جهاد الشعب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 .

17 – ـــــــــــــ : " مقاربات في تاريخ الجزائر 1830–1962 " ، دار هومه ، الجزائر ، 2007 .

18 – إسماعيل دبش : " السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية " ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 .

19 – محمد عباس : " الثورة الجزائرية نصر بلا ثمن " ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 .

ب / – باللغة الفرنسية :

– HARBI MOHAMED " les archives de la révolution Algériennes édition jeune Afrique ' paris 1981.

ثالثا : المجـــــلات :

_1 – مجلة الدراسات التاريخية ، العدد السادس ، يصدرها معهد التاريخ الجزائر ، 1992 .

2 – مجلة أول نوفمبر ، العدد 151–152 ، وزارة المجاهدين .

رابعا : الرسائل الجامعيـــــة :

1 – رزقي صدام : " دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية " ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر ، 2014/2013 .

2 – عبد الله مقلاتي : " العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة الجزائرية 1962/1954 " ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، 2008/2007 .

3 – نجاة بن يحوب : " الدعم العربي للثورة الجزائرية 1962/1954 " ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر ، 2013/2012 .

فهرس الموضوعات :

فهرس الموضوعات :	الصفحة:
مقدمة:	أ – د
– **الفصل الأول : دور القاعدة الشرقية في الثورة التحريرية 1954 / 1958**	7 – 29
المبحث الأول : ملامح عامة عن ثورة نوفمبر الجزائرية :	7 – 15
أ/– إندلاع الثورة التحريرية أول نوفمبر 1954 :	7 – 10
ب/– مشكلة السلاح :	11–15
المبحث الثاني : دور القاعدة الشرقية :.....	16–28
أ/– تعريف القاعدة الشرقية :	16
ب/– دورها في الثورة التحريرية :	18–28
– ملخص :.....	29
– **الفصل الثاني : تونس بين الأزمات السياسية و مطلب دعم الثورة الجزائرية 1954 /1958**	30–59
المبحث الأول :الأوضاع العامة 1654 / 1958	32–42
أ/– الأوضاع الداخلية :	32–35
ب/– علاقات تونس الخارجية 1956 / 1958 :	36–37
ج/– الأزمة الجزائرية – التونسية جوان 1958 :	38–42
المبحث الثاني : الدعم التونسي للقضية الجزائرية و مواقف فرنسا منها	43–58
أ/– الدعم المعنوي :	43–49
ب/– الدعم المادي :	49–53
ج/– الضغوط الفرنسية على تونس :	54–58
– ملخص	59
– **الفصل الثالث : أحداث ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958**	60–87
المبحث الأول : أسباب القصف :	62–71
أ/ موقع ساقية سيدي يوسف :	62
ب/ الأسباب غير المباشرة للقصف :	62
– داخلياً :	62
– خارجياً :	63
– الأوضاع السياسية في فرنسا وأثرها :	64–65

ج/ الأسباب المباشرة للهجوم :	66
– معركة جبل واسطة :	69-66
– انعكاسات المعركة :	71-70
المبحث الثاني : قصف ساقية سيدي يوسف وتداعياته العامة :	87-72
أ/ تفاصيل الحدث ونتائجه العامة :	74-72
ب/ ردود الفعل الأولية على الحدث :	79-75
– إقليمية و مغاربية :	79-75
1/ الموقف التونسي :	77-75
2/ الموقف الجزائري :	78
3/ الموقف الليبي :	79
– خارجية :	80
1/ التبريرات الفرنسية على أحداث القصف :	81-80
2/ تونس ترفع القضية إلى مجلس الأمن :	82
ج/ الأزمة التونسية الفرنسية ومشكلة الوساطة الأمريكية الانجليزية :	86-83
– ملخص	87
– **الخاتمة** :	90-88
– **الملاحق** :	104-91
– **المصادر والمراجع** :	109-105
– **الفهرس**:	112-111